٩ - القمر الصناعى الإسرائيلى

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

قرأنا فى هذا الأسبوع نبأ أثار المواجع، وأحزن القلوب. ذلك النبأ الذى لا يزال صداه فى العالم كله، فاجأتنا إسرائيل وفاجأت العالم كله، بأن أطلقت قمرا صناعيا، دخلت عالم الفضاء، وأصبحت ضمن دول ثمانية فى العالم تملك هذا النوع من التكنولوجيا المتطورة.

وإسرائيل حينما تملك قمرا من هذا النوع، لا يمكن إلا أن يكون قمرا للتجسس علينا، سيكشف أرضنا شبرا شبرا، وفترا فترا، سيصور مواقعنا وسيصورأوضاعنا - دون أن تعتمد على أمريكا ولا على غيرها - وجها لوجه هذا ما صنعته إسرائيل.

تذكرت هذ الذى فعلته إسرائيل، وتذكرت أننا كنا فى ذلك الوقت قبل أن نقرأ هذا الخبر، فى الليلة السابقة، فى نقاش طويل وجدل حاد حول التصوير: أهو حلال أم حرام؟!

إسرائيل تصنع قمرا يصور أرضنا وديارنا وكل شئ عندنا، ونحن لا زلنا نتجادل: هل التصوير جائز أم ممنوع؟!

وذكرنى هذا بأمر آخر: العالم الآن انتقل من مرحلة صناعية إلى مرحلة أخرى، نحن فى أواخر عصر الصناعة الثانى. عصر الصناعة الأول هو الذى كانت الآلة فيه توفر الجهد البدنى للإنسان، بدل أن يعمل الإنسان بجسمه وبدنه، الآلة توفر عليه ذلك. بدل أن يمشى على رجليه، يركب السيارة. بدل أن ينسخ بيديه يجد المطبعة توفر له ذلك أضعاف الأضعاف وآلاف الأضعاف.

هذا عصر الصناعة الأول، الثورة الصناعية الأولى كانت مهمتها أن توفر الآلة طاقة الإنسان البدنية.

OBEIKAN.COM

أما عصر الصناعة الثانى، فمهمة الآلة فيه أن توفر الجهد الذهنى للإنسان، عصر الكمبيوتر، الشئ الذى يمكن أن تعمله فى شهر أو فى سنة يمكن أن يفعله الكمبيوتر فى لحظة. بل إن قدرة هذا الجهاز العجيب (الكمبيوتر) تتضاعف يوما بعد يوم .

هكذا وصل القوم.

ونحن ما دورنا؟ نحن مختلفون: ماذا نسمى هذا الشئ الذى صنعه القوم؟ أهو العقل الالكترونى أم هو الدماغ الإلكترونى؟ أهو الحاسب الآلى؟ أم نسميه الحاسوب؟ أم نسميه المحساب؟أم الحسابة؟ أم نسميه الكمبيوتر؟ أم.. إلخ، هكذا نتجادل.

العالم صار شيئا آخر. ونحن لازلنا (محلك سر) كالثور فى الساقية أو الحمار فى الطاحون، يدور ويدور ويسير ويسير، والمكان الذى انتهى إليه هو الذى بدأ منه، حلقة مفرغة، دائرة لا نخرج منها، لازلنا فى سجن التخلف، لا زالوا يسموننا (البلاد النامية) والبلاد النامية كلمة مهذبة، تعبير ملطف، بدل أن يقولوا (البلاد المتخلفة) يقولون: (النامية)، مراعاة لمشاعرنا أو لعله إيهام لنا أننا فى طريق النمو.

ونحن لا ننمو بالقدر الكافى، لأننا نحاول أن نلحق بالقوم فنلهث ونلهث، ونركض ونركض، ولكن نجد أن المسافة لا تضيق بمرور الزمن، بل تتسع وتتسع.

إننا نركب حمارا، وهم يركبون حصانا، فإذا ركبنا حصانا ركبوا قطارا أو سيارة، فإذا ركبنا السيارة وجدناهم ركبوا طائرة، فإذا ركبنا الطائرة وجدناهم ركبوا الصاروخ وركبوا مراكب الفضاء، ووصلوا إلى القمر، ثم نحن نقول: هل وصلوا إلى القمر؟ فينا من المشايخ من يقول: لا تصدقوا أنهم وصلوا إلى القمر، هذه خرافات!!

هذا ما لازلنا فيه.

OBEIKAN.COM

ثم ماذا نصنع نحن؟ إذا ركبنا السيارة، هل نحن صنعنا السيارة؟ وإذا ركبنا الطائرة من أحدث طراز ، فهل نحن الذين صنعناها؟ نحن لم نصنع محركا قط، أى (موتور) نستورده. أعظم صناعة عندنا إذا ارتقت هى صناعة (التجميع) ، نجمع فى ديارنا، ولكن نبعد كل البعد عن (المحركات) وعن هذه الأشياء الأساسية فى الصناعة.

أنحن متقدمون؟

ليس المتقدم هو الذى يركب سيارة من أحدث طراز، إنما هو الذى يصنعها. أنت حينما تركب (المرسيدس) الخمسمائة أو الألف، وتفتخر وتُزهى وتنهب الأرض نهبا، ما قيمتك يا راكب الخمسمائة والألف وأنت لم تصنع فيها ترسا واحدا ؟!

يمكن لمصانع ألمانيا أن تنتج لك ما تريد، وتخرجها باسمك خاصة، وتضع فيها من الكماليات ما لم يوضع لغيرك، لأنها تأخذ نقودك، وتروج بضاعتها.

لسنا متقدمين إذن!

إذا كان غيرنا هو الذى يصنع لنا، لا تظنوا أننا دخلنا أبواب الحضارة ما دام هذا المكبر (المكيرفون) الذى أمامى ليس من صناعتنا، وما دامت هذه (الكاميرا) التى تصورنى أمامكم للتلفزيون ليست من صنع أيدينا والتلفزيون الذى ينقل هذا من المسجد ليس من صناعتنا فنحن لسنا متقدمين نحن مستهلكون لا منتجون، ومستوردون لا منشئون، ومقلدون لا مبتكرون.

فعلينا أن نحزن على أنفسنا، وأن نبكى على أنفسنا، إذا استطاعت إسرائيل أن تطلق قمرا صناعيا، ونحن لازلنا نتغنى بالقمر غناء الشعراء، ولازلنا نختلف فى حكم التصوير: هل يجوز لنا أن نطلق قمرا يصور أو طائرة استطلاع تصور، والتصوير حرام؟! هذه هى حالنا.

لازلنا فى دائرة التخلف ما دمنا لا نصنع بأيدينا ما نحتاج إليه، إنما يصنع ذلك غيرنا، هذا هو التخلف حقا. إذا كنا لا نزرع ما نأكله، ولا نصنع ما نستعمله، فهذا هو التخلف.

للأسف، بلاد المسلمين بلاد زراعية ولكنها تستورد نصف أقواتها من غير المسلمين! لو كفوا أيديهم عنا لمتنا جوعاً فى كثير من بلاد المسلمين. ثم (الماكينات) والأجهزة من صنع غيرنا، والسلاح الذى ندافع به عن أنفسنا من الذى يصنعه لنا؟! استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تصنع بعض الأشياء، ولكن لازالت الصناعات الثقيلة فى أيدى غيرنا.

كيف استطاعت إسرائيل أن تفعل هذا كله ونحن لم نفعل شيئا؟ لسنا مستقلين حقيقة، ولاسادة أنفسنا حقيقة، إذا لم يكن سلاحنا من صنع أيدينا.

حكوا أن أحد ملوك المسلمين فى الهند من ملوك المغول، حينما ولى الملك بعد أن نصره الله على المشركين، أرادوا أن يحتفلوا بتتويجه، فكان من مراسم الحفل أن يركب فيلا ضخما مزينا. فجئ له بالفيل وقيل له: اركب هذا الفيل لتمر بالمدينة ويراك الناس. فقال لهم: هذا الفيل من الذى يقوده؟ قالوا له: له سائس هو الذى يقوده، هو الذى يدربه، هو الذى يأمره قال: إذن لا أستطيع أن أركبه. لا أركب مطية زمامها بيد رجل غيرى، هاتوا جوادى، وركب جواده لأنه هو الذى يستطيع أن يسوسه وأن يقوده وأن يحركه. أما أن يركب دابة لا يستطيع أن يوقفها فتقف، ولا أن يحركها فتتحرك ، فلا.

هذا مثال لوضعنا. نحن نستخدم التكنولوجيا التى يصنعها غيرنا، ولذلك لو خربت أو تعطلت ما استطعنا أن نفعل شيئا. فى بعض بلاد الخليج تعطلت محطة كهربائية كبيرة وكان خللاً غير عادى، فتوقفت الحياة فى نصف المدينة، لماذا؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أمام هذا الخلل شيئا، لابد من خبير أجنبى من المصنع الذى صنعها.

تصوروا إذا توقفت الكهرباء فى بلد من بلاد الخليج ماذا يصنع الناس؟ لا تستطيع أن تشغل مكيفا، ولا مروحة، ولا أن تشرب شربة من ماء بارد، ولا أن تجد فى الليل ما يضيئ غرفتك. ولكن لابد من الخواجة، لابد من الخبير. نحن إذن عالة على غيرنا .

ومع هذا أقول لكم شيئا: كنت من عدة أشهر ألقى محاضرة دعيت إليها فى جامعة الملك فيصل بالدمام، وكان من الأسئلة العجيبة التى وجهت إلىَّ بعد المحاضرة – وكان موضوعها عن (موقفنا من الحضارة) – سؤال يقول: أنت تحدثنا عن الحضارة، وعن التقدم، على حين سمعنا خطبة لأحد الدعاة الدينيين يقول فيها: الحمد لله الذى سخر لنا الإفرنج الكفرة ليشتغلوا بالعلم، وفرغنا نحن لعبادة الله!!!

انظروا غباء هذا الذى زعموه داعية للدين، يحمد الله على أن ملك الأفرنج العلم، وفرغنا نحن للتعبد! اعتبر هذه نعمة، وهى مصيبة، الله يحمد، ولا يحمد على مكروه سواه، ولكن هذه بلية: أن نصبح عالة على غيرنا.

ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٠] ويقول النبى ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومنبله...»(١) منبله: الذى يضعه فى القوس أو النبل.

الصانع مثاب، لأنه يوفر للأمة ما تحتاج إليه، ولهذا قال فقهاء المسلمين: إنّ على المسلمين أن يكون لهم من العلوم والصناعات ما يغنيهم عن غيرهم. وهذا يعتبره العلماء من فروض الكفايات. لابدّ أن يكون فى الأمّة من الأطباء والمهندسين والكيماويّين والفلكيّين والجيولوجيّين والفيزيائيّين، وجميع أصناف العلوم، وجميع أصناف الصناعات الدنيويّة: المدنيّة والعسكريّة، ما يسدّ الثغرات، ويغطى كلّ الحاجات، ولا يحوج المسلمين إلى أن يمدّوا أيديهم لغيرهم، هذا فرض كفاية على الأمة.

---

(١) رواه أبو داود واللفظ له، والنسائى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى، والبيهقى من طريق الحاكم وغيرها، عن عقبة بن عامر رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١ / ٣٨٠، برقم ٦٨٦) قال الشيخ القرضاوى معلقا على الحديث: وفى هذا ترغيب للمسلمين فى إتقان الصناعات الحربية التى تمدهم بالسلاح والذخيرة، حتى لا يكونوا عالة على غيرهم، وأن فعل هذا بنية الخير لون من العبادة والجهاد يستحق صاحبه الجنة.

OBEIKAN.COM

ومعنى (فرض الكفاية) : أنّه إذا وُجد عدد كاف من العلماء والخبراء فى الأمّة الإسلاميّة سقط الإثم عنهم، وإذا لم يوجد هذا العدد أثم المسلمون عامّة، باؤوا بالإثم . . بالمعصية . . بالذنب، لأنهّم فرّطوا فى واجب عليهم بالتضامن،أثم المسلمون عامّة وأولو الأمر فيهم خاصّة، لأنهّم مسؤولون، وكلّ راع مسؤل عن رعيّته « كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته . . »[1] .

نحن المسلمين علينا أن نحاول استدراك ما فاتنا ، وأن نلحق بالركب، لا ندع إسرائيل تتفوّق علينا . ولماذا تتفوّق إسرائيل علينا؟

نحن أكثر من : مائتى مليون من العرب، وألف مليون من المسلمين جميعا .

عندنا قدرة بشريّة هائلة نستطيع أن نفعل بها الكثير .

وعندنا القدرة المادية والاقتصادية، فبلادنا من أعظم بلاد الله من ناحية خصوبة التربة، ومن ناحية وجود البحار والأنهار، ومن ناحية وجود المعادن .

ونحن من الناحية الروحيّة نملك الرسالة العظيمة القادرة على أن تسعد العالم، وهى رسالة الإسلام .

عندنا من مقوّمات السيادة والقدرة، ما يجعلنا نتبوأ مكانتنا تحت الشمس، لو استفدنا ممّا أهّلنا الله له، وممّا وهبنا الله إيّاه . ولكننا لم نستفد، لم نحاول أن نتقدّم، لازلنا ندور حول أنفسنا، لا نراجع أنفسنا ونحاسبها كما هو شأن المؤمن، الذى يحاسب نفسه وينقدها، قبل أن يحاسبه ربه، وهو شأن الجماعات المتحضرة أيضا، وهو ما يسمونه (النقد الذاتى) : هل أثمر نظامنا التعليمى؟ هل أتى أكله؟ أو هو فى حاجة إلى مراجعة؟

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وتتمّته : « والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيّده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥٥٣، برقم ١١٠٨) .

OBEIKAN.COM

أمريكا تنقد نظامها التعليمى، وكتب أهل الفكر والإصلاح فيها كتاباً أو رسالة تقول: (أمريكا على حافّة الخطر) إذا لم تتدارك نظامها التعليمى. وجاءت بأناس من غيرها.. من اليابانيين، وقالوا لهم: قولوا لنا رأيكم فى التعليم عندنا – التعليم بعيون غيرنا – ماذا تجدون فيه؟

انظروا: إلى هذا الحد ينقد القوم أنفسهم، ويراجعون سياساتهم.

نحن نخرّج موظفين يجلسون على المكاتب. هل نخرّج علماء وباحثين؟

نحن فى حاجة إلى مراجعة أنظمتنا التعليمية، وفلسفتنا التعليمية، نحن فى حاجة إلى تربية حقيقية.

نحن فى حاجة إلى تطوير أوضاعنا الاجتماعية والثقافية والأخلاقية، بحيث نتيح الفرصة فى أقطارنا للمواهب الشابّة.. للنوابغ من أبنائنا.

للأسف فى كثير من البلاد يُقدّم المنافق.. يُقدّم الثرثار.. يُقدّم المحسوب، ولا يقدم الكفُء القادر. كثيراً ما لا يوضع الإنسان المناسب فى المكان المناسب. الإنسان إذا لم يجد حقّه ولم يجد مكانه، ولم يوضع فى موضعه، كثيراً ما ييأس ويترك قومه ويهجر وطنه، أو ينكمش ويعتزل الحياة، وهو موهبة يمكن أن تنمو، وأن تُنبت، وأن تثمر.

قد حكوا فى أدبنا العربى أنّ عنترة بن شدّاد العبسى، كان أسود اللون، وكان أبوه يحقر شأنه ولا يكاد يعترف به، فكان متروكاً لرعاية الإبل كأنّه أحد العبيد. فلّما أغارت بعض القبائل على بنى عبس وقف عنترة يتفرّج وهو يرعى الجمال، وقد كاد المغيرون يقتحمون الحمى، وينتهكون الحرمات، ويسبون النّساء، ويأخذون الأموال، فقال له أبوه: مَالَك؟ كرْ. قال له: يا أبت، العبد لا يحسن الكرّ، وإنّما يحسن الحلاب والصرّ (أى: العبد ليست مهمّته أن يكرّ ويهجم ويقاتل، إنّما مهمته أن يحلب الإبل والغنم). قال: كرّ وأنت حرّ! فحمل سيفه وركب جواده وتصدّى للمغيرين، فردّهم، وأظهر بطولة أصبحت حديث القبيلة. ثم ظهرت بعد ذلك بطولاته فأصبح حديث العرب كلهم، وحديث الأجيال بعد ذلك، أصبح أسطورة من الأساطير.

ما الذى حدث؟

كان هذا الشاب مدفوناً حينما كان محقوراً، ولم يوضع فى مكانه، فلما اعترف له بحقه – كرّ وأنت حرّ – فعل الأفاعيل، وأظهر الأعاجيب.

أعط للإنسان حقّه، وأعط للنوابغ حقوقهم، هيّء لهم المناخ العلمى، دع الزهرات تتفتّح، افتح النوافذ لكى يستنشق الناس الهواء الطلق. هنا فى مثل هذا المناخ تنمو العقول الذكيّة النّابغة.

نحن للأسف فى بلادنا العربية والإسلاميّة لازلنا نقتل المواهب، ونئد النوابغ. ما أحوجنا إلى جوّ إيجابىّ صحيح يعين على تنشئة العقول النّابهة.

ثمّ إننا لا يمكن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورّة فرادى، لا يستطيع بلد واحد من بلادنا أن يلحق بالقوم. إسرائيل بمساعدة الغرب – طبعاً – استطاعت أن تصل، ولكن هى التى فرضت على الغرب أن يساعدها، هى التى استطاعت أن تؤثّر فى سياسة أمريكا. ونحن منّا من له أصدقاء وحلفاء من الغرب وحلفاء من الشرق، ولم نستطع أن ننتفع بحلفاء الغرب ولا بحلفاء الشرق.

نستطيع أن نفعل شيئاً إذا تجمعنا، إذا تجمّع العرب وتجمّع المسلمون يستطيعون أن يفعلوا الكثير، إذا صمموّا وأرادوا.

تستطيع باكستان أن تصنع قنبلة. كان الرئيس (ضياء الحق) رحمه الله يسمّيها: القنبلة الإسلامية، يقول: نحن لا نريدها قنبلة باكستانيّة، ولكنّها القنبلة الإسلاميّة.

إذا كانت اليهوديّة قد ملكت القنبلة، والوثنيّة قد ملكت، فلماذا لا يملك الإسلام؟

تستطيع الدول الإسلاميّة أن تصل إلى ما تريد بالتخطيط، والاتحاد، والترابط. أمّا إذا اختلفنا وأراد كلّ منّا أن يدخل الميدان وحده، فهيهات أن يصنع شيئا.

ثمّ هناك أمر آخر: هذه الأمّة أمّة مؤمنة، أى لا يحركها إلاّ الإيمان، الدين هو العنصر الأوّل المؤثّر فيها، إذا قُدتها بـ (لا إله إلاّ الله والله أكبر) صنعت الروائع، صنعت المعجزات، أو ما يشبه المعجزات. انظر إلى ما فعله – من يسّمونهم – أطفال الحجارة، انظر إلى ما صنعه المجاهدون فى أفغانستان، أنظر إلى ما صنعه الذين اقتحموا خطّ (بارليف) فى العاشر من رمضان (١٣٩٣ هـ).

الإيمان هو المحرك الأوّل لهذه الأمّة، الإيمان يستطيع أن يجعل من الإنسان طاقة غير عاديّة، وأن يعمل بأضعاف أضعاف طاقته. نحن لا نستطيع أن نلحق بالقوم، وبيننا وبينهم مسافات ومسافات إلاّ من خلال رسالة يؤمن بها الأفراد، فتفجرّ مكنون طاقاتهم.

نحن لسنا أقلّ من القوم، لقد بدأت مصر نهضتها مع (اليابان) أو قبل اليابان بقليل، فانظروا أين اليابان وأين نحن الآن؟! بل انظروا إلى (كوريا(التى بدأت بعد الحرب العالميّة الثانية، ومنتجاتها الآن تغزو أسواق العالم فى أوربا وأمريكا، وأصبحت المنافس الخطر لليابان. انظروا إلى هذه المصنوعات التى تأتينا من (تايوان) و (هونج كونج) وغيرها. ما بالنا نحن؟ أليس لنا عقول كعقول القوم؟ لنا والله، ولكن نحتاج إلى إيمان يحركنا للعمل. إننّا أقلّ بلاد الدنيا عملا، وما رأيت مثل أمتّنا فى تكاسلها عن العمل.

لو أدرك الناس أنّ العمل للدنيا عبادة وجهاد، وأنّ المرء مأجور على كلّ عمل يعمله، لو نفخنا هذه الروح فى الناس، لو قُدناهم فى طريق الإيمان الحق، لو رفعنا أمامهم المصاحف وقلنا: اعملوا لله، واجعلوا حياتكم ومماتكم وصلاتكم ونسككم لله تعالى رب العالمين لا شريك له، لو فعلنا هذا لاستطعنا أن نعوّض كثيراً ممّا فاتنا.

ولكن بعض الناس يظنّ أنّ الدين شيء والدنيا شيء آخر، ولا علاقة للدين بهذه الأمور. كأنّنا ندعو الناس إلى الدروشة، أو البطالة، أو إلى أن يجلسوا فى التكايا أو الزوايا متبطلين، لا، نحن نريد الدين محرّكاً، محرّكاً يستطيع أن يصنع من الإنسان شيئا جديدا وإذا هو انقاد باسم الله، وسار على طريق الله.

نحن قادرون على أن نعوّض ما فاتنا لو أنّ الأمّة سارت سير المؤمنين الصادقين، إنّ الله تعالى علّمنا شيئاً من ناحية القتال.. من الناحية العسكرية: ﴿ **... إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾[1]، بالإيمان والصبر يمكن أن يكون الإنسان قدر غيره بعشر مرّات، تتضاعف طاقته عشر مرات ﴿ **إِن يَكُن مِّنكُمْ**

---

(١) الأنفال: ٦٥، وأولها ﴿ **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال...** ﴾

﴿عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ..﴾، وكذلك فى معركة البناء والتقدم، نستطيع أن نفعل الكثير لو أنّنا استفدنا من هذا.

يا أيها الإخوة :

إنّنا أمام ما فعلته إسرائيل يجب أن نفكرّ ونفكرّ، ونعيد النظر فى حياتنا كلها. إسرائيل تخدم هدفاً، وتقوم على أساس دينىّ، ولا بدّ أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، إذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، إذا قالوا: الهيكل، قلنا: المسجد الأقصى، إذا قالوا التلمود قلنا: صحيح البخارى ومسلم. عندنا ما هو أقوى منهم، ولا يفلّ الحديد إلاّ الحديد وحديدنا أقوى من حديدهم.

اليهوديّة لن تقف أمام الإسلام إذا رُفِع شعاراً، وأصبح محوراً، وعاد محرّكاً، كما كان، للأمّة فى عصورها السابقة.

إنّ انتصار إسرائيل علينا ليس مجافاةً للسنن، لأنّه انتصار للعلم على الجهل، وللعمل على الكسل، وللنظام على الفوضى، وللترابط على التفسّخ، وللاتحاد على الاختلاف.

نحن إذا أردنا أن ننتصر عليهم، فلا بدّ أن نراعى سنن الله لترعانا سنن الله، لا بدّ أن ننصر الله لينصرنا الله، ونصر الله ليس بالكلام، ولا بمجرّد التسبيح والتهليل والتكبير، وإنّما نصره أن نعمل وفق أمر الله، ووفق سنن الله، وبذلك ننتظر النصر، وما ذلك على الله بعزيز ﴿.. **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: ٤ – ٦].

أقول قولى هذا – أيّها الإخوة – وأستغفر الله تعالى لى ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

أمّا بعد :

فقد جاءنى شاب يخبرنى عن مولود وُجد فى علبة.. فى كارتونة، ووضع أمام باب من أبواب أحد المساجد، ومعه خمسون ريالاً. مولود غضّ طرىّ خرج إلى الدنيا من وقت قريب، ثمّ وضع أمام أحد المساجد !

OBEIKAN.COM

قال لى: من المسؤول؟ من المسؤول عن هذا الإنسان الذى سيعيش ما شاء الله له أن يعيش فى مرحلة الحياة بدون أب ولا أمّ؟

مولود مجهول النّسب، مقطوع الخيوط والروابط، لا أمّ.. لا أب.. لا إخوة.. لا أعمام.. لا عمّات.. لا خالات.. لا أخوال.

إنسان يعيش بغير أهل ولا رحم، من المسؤول عن هذا الطفل البرىء؟

الطفل لا ذنب له، والإسلام يحميه ويحمى حياته، ويقرّر له فى بيت المال نفقة. وفى كتب الفقه الإسلامى باب مشهور اسمه: باب (اللقيط)، الذى يُلتقط ولا أب له ولا أم. الإسلام يرعاه ويرحمه لأنّه لا ذنب له، بل يحفظ حياته بعد أن يولد وقبل أن يولد.

قد عرفنا المرأة التى زنت وهى حُبلى، وجاءت تسأل النبى ﷺ أن يقيم عليها الحد، فأجّلها، لأنّه إن كان له سبيل عليها فليس له سبيل على ما فى بطنها[1]. ما ذنب ما فى بطنها وإن جاء من حرام؟ ولكنّه مخلوق محترم.

الإسلام يرعى هذا الإنسان، لكن من المسؤول عن حياته؟ إنّها مسؤوليّة الأبوين: الأب الذى ألقى البذرة المحرّمة، قضى شهوته فى الحرام ثمّ لم يبال ما حدث بعد ذلك. والأمّ التى هان عليها أن تلقى وليدها وفلذة كبدها فى عرض الطريق، ولا تدرى ماذا يحدث له بعد ذلك؟ أين يذهب؟ وكيف يعيش؟ ولعلّها من أسرة، ولعلّ لها مالاً، ولعلّ عندها ثراء. ولكن خشية أن تقتل قتلاً مادياً من أهلها، أو تقتل قتلا معنوياً من المجتمع بالفضيحة على رؤوس الأشهاد، تخلّصت من هذا.

إنّها مسؤولية الرجل، ومسؤولية المرأة من غير شك.

ولكنّها مسؤولية المجتمع كذلك، المجتمع الذى يعوّق طريق الحلال، فلا بدّ أن ينحرف الناس إلى الحرام. طريقة الإسلام أن نفتح للحلال ألف باب وباب، وأن نسدّ إلى الحرام كلّ باب.

تيسير الزواج، تيسير الارتباط الحلال، التخلّى عن المظاهر الكاذبة، غلاء المهور، الحفلات، التأثيث الفاخر، هذه الأشياء التى لا معنى لها ولم يجىء بها الإسلام، وإنّما يسّر الإسلام ولم يعسّر، هذه كلّها تنتهى إلى مثل هذه النتيجة.

---

(١) انظر قصتها فى (صحيح مسلم) باب حد الزنا.

OBEIKAN.COM

قرأت فى بعض كتب التاريخ أنّ رجلاً وجد فى الطريق غلاماً مثل هذا الذى حدثنى عنه الأخ، ومعه صرّة فيها ألف دينار، ومع الصرّة ورقة تقول: هذا جزاء من لا يعجّل بزواج ابنته إذا جاءها من يرضى دينه وخلقه. أبو البنت يبدو أنّه من الأثرياء، لأنّه وضع مع الطفل ألف دينار فى ذلك الوقت، وكأنّ الرجل يخاطب نفسه. لقد أراد أن يستر على ابنته، وتحمّل المسؤولية، وذهب بهذا الطفل إلى باب المسجد كما يفعل النّاس عادة.

هذه إحدى ثمرات البعد عن روح الإسلام، ومنهج الإسلام فى الزواج.

إذا عسّرنا طريق الزواج تكون النتيجة الانحراف، تكون النتيجة أن يعيش الشاب بغير زواج، أو تعيش الفتاة بغير زواج. يعيش الفتيات عوانس فى بيوتهنّ محرومات من الحياة الزوجيّة وهى حقّ لهنّ، محرومات من عاطفة الأمومة وهى حقّ لهنّ، وفطرة فطر الله الإناث عليها.

تكون النتيجة أن يذهب الإنسان ليتزوّج امرأة أجنبيّة من غير دينه ومن غير قومه. وهذه آفة من الآفات أيضا.

أنا – فى عصرنا – لا أجيز أن يتزوّج المسلم بغير مسلمة، لأنّ الإسلام حينما أجاز زواج غير المسلمات إنّما أجاز المحصنات، المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والمحصنات هنّ العفيفات الشريفات النظيفات، وأين تجد هذه فى غير بلاد المسلمين ومن غير المسلمات ؟!

شرط (الإحصان) قلّما تجده فى بلاد تعيّر البنت بعذريّتها إذا بقيت عذراء، معناه: أنّه ليس لها صديق !

الزواج من أجنبيّة غير مسلمة اشترط له أن تكون محصنة وهيهات، وأن تكون كتابيّة حقّا، ومعظم هؤلاء لا دين لهنّ. إنّهنّ يتسمّين بأنّهنّ نصرانيّات – أو غير ذلك – وهنّ فى الحقيقة ليس لهنّ دين، وأهلهنّ ليس لهم دين إلاّ ما ندر، فهى ليست كتابيّة على الحقيقة.

ثمّ يشترط أن لا يكون فى هذا الزواج ضرر على المسلمات. سيّدنا عمر بعث إلى حذيفة بن اليمان بالمدائن وقد تزوّج يهوديّة، قال له: عزمت عليك إلاّ طلّقتها. فبعث إليه يقول: أهو حرام يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أخشى أن يكون فى ذلك فتنة على نساء المسلمين.

(أن تتزوّج من امرأة أخرى وتترك بنات المسلمين) معناه: أنّك حكمت على بنت مسلمة بالكساد. إذا كان لا بدّ أن تتزوّج، فتزوّج مسلمة، وما أكثر البنات المسلمات.

ثمّ من ناحية أخرى: زواج هذه يعرّض الشخص نفسه للخطر، لماذا؟ سيُنقص من دينه وهو لا يشعر، لأنّه لن يجد المرأة التي تقول له: قم فصلّ الفجر، قم فاقرأ كتاب الله، إيّاك وكسب الحرام. ستكون خطراً على زوجها، خطراً على أولادها لو أنجب منها، لأنّ الأولاد – وخاصّة البنات – يتأثّرون بأمّهم. فإذا كانت من دين غير الدين ولغة غير اللّغة وقوم غير القوم، أصبحت (ثالثة الأثافي)[1]!

إنّ كلّ هذا ناشيء من بُعدنا عن منهج الإسلام، فلنرجع إلى منهج الإسلام، ولنتق الله تبارك وتعالى، عسى الله أن يرحمنا.

اللّهم ارحمنا رحمة واسعة. اللهمّ أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

﴿ .. **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيّك محمّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ .. **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١) انظر فتوى الشيخ القرضاوي المطولة حول (زواج المسلم لغير المسلمة) وما ذكره من شروط وضوابط، وذلك في كتابه (فتاوى معاصرة) الجزء الأول ص ٥٦٢ – ٥٧٦

OBEIKAN.COM

١٠ - العدوان على الكويت [١]

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

أمّا بعد ، فقد حدث ما لم يكن فى الحسبان، ووقع ما لم يتصوّره إنسان، وقعت الواقعة، وقع العدوان، على شعب آمن، نام مطمئناً ثمّ أصبح فإذا هو مغزوّ فى عقر داره، معتدى عليه فى وطنه.

ظلم ذوى القربى :

وممّن كان العدوان ؟

لو كان من إسرائيل.. من الصهاينة، لو كان من الشيوعييّن الحمر، لكن الأمر هيّنا، الاعتداء من أهله معقول وممكن، طالما اعتدت إسرائيل، وطالما اعتدى الشيوعيوّن، وطالما اعتدى الصليبيوّن، ولكن أن يقع العدوان من عربى على عربى ومن مسلم على مسلم، وأن يعتدى عليك بالسلاح الذى اشتراه بمالك، أن يعتدى عليك من أعنته فى وقت الشدّة ووقفت معه فى ساعة العسرة، فهذا هو الأمر الفظيع.

الشاعر العربى الجاهلى قديما (طرفة بن العبد) قال فى معلّقته :

وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنّد

أن تُظلم من قريبك ومن أخيك ومن ابن عمّك، وأن يعتدى عليك وأنت لم تقدّم له إلاّ الخير والمعروف، هذه هى المصيبة.

قديماً قال الشاعر:

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإنّ ابن عمّ المرء - فاعلم - جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح؟!

ولكن الذى يُفترض أن يكون سلاحك، وأن يكون جناحك، هو الذى كان

---

(١) وقع العدوان فى ٢/٨/١٩٩٠ م .

OBEIKAN.COM

سلاحاً عليك، وكان سهماً فى صدرك، وهو الذى جاء ليهيض جناحك، وينتف ريشك، ويكسر عظامك، كما قال الشاعر قديماً:

وإخـــوان حسبتهمو دروعـاً فكانوها ، ولكن للأعـادى !
وخِلْتُهُمُو ســهاماً صـائبات فكانوها ، ولكن فى فؤادى !

هذا هو الذى وقع .

حينما وقع هذا الأمر كنت فى (لندن) قادماً من أمريكا لإجراء عمليّة جراحيّة، وما إن فتحت (التلفزيون) حتى لم أكد أصدّق، أهذا يحدث؟!

من قبلها فى الليلة السابقة – قال مندوب الجامعة العربيّة: إنّ مجرّد الاحتشاد هذا – أى احتشاد القوات العراقيّة على حدود الكويت – ليس معناه: الاعتداء، هذا لم يحدث فى تاريخ الجامعة العربية، ولم يحدث أن اعتدى بلد عربى على بلد عربى آخر، ومستحيل أن يقع !

ولكن المستحيل حدث ووقع.

لا يحل لمسلم أن يروع مسلما:

رُوّع الآمنون فى بيـوتهم، والنبى ﷺ يقـول: «لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلما»[1]. عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فى مسير، فخفق رجل على راحلته [أى نعس] فأخذ رجل سهماً من كنانته [يمازحه]، فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لرجل أن يروّع مسلماً»[2]، أى ولو كان ذلك على سبيل المداعبة والمزاح.

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب، وأحمد، من حديث ابن نمير، عن الأعمش عن عبد الله ابن يسار الجهنى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنّهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ، فنام رجل منهم، وانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلما»، وإسناده صحيح، وحسّنه الحافظ العراقى (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٠/٢٦٣ – ٢٦٤ برقم ٢٥٧١).

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، ورجال الكبير ثقات (بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد: برقم ١٠٥٢٩). وانظر تعليق الشيخ القرضاوى على الحديث فى كتاب (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٧٣٦ برقم ١٦٨٩).

OBEIKAN.COM

«لا يحلّ لرجل أن يروّع مسلماً» فكيف بالآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف، الذين رُوّعوا فى بيوتهم، باتوا آمنين، وأصبحوا خائفين؟!

وروى البزار والطبرانىّ عن عامر بن ربيعة أنّ رجلاً فقد نعله - غيبّها رجل عنه - فصار يبحث عنها، وارتاع لهذا الأمر الصغير، فقال النبى ﷺ: «لا ترْوعوا المسلم، فإنّ روعة المسلم ظلم عظيم» (١).

ماذا نقول عن هذا الذى حدث؟ والنساء فى بيوتهنّ يخفن أن يأتى آت فيعتدى على أعراضهنّ، والأطفال يختبئون، والناس لا تدرى ماذا يحدث لهم؟

ما الذى جرى؟ ما الذى وقع؟ ما سبب هذا كلّه؟

عدوان لا مبرر له:

ما السبب فى أن يُعتدى على بلد آمن؟

خلافات؟ كلّ الخلافات يمكن أن تُسوّى.

حدود؟ كم طلبت الكويت أن تُسوّى مسألة الحدود، ولكن الآخرين هم الذين يسوّفون.

أموال؟ ديون؟ لم تطالب الكويت بديونها قط.

وكلّ شىء قابل للحلّ.

أمّا أن تبيّت العدوان على أخيك، ويبدو أنّ الأمر مبيّت بليل، من أشهر طويلة، ومن مُدَد طويلة، كما تدلّ على ذلك الشواهد والوقائع.

كنّا نظنّ أن تتجه هذه القوة - التى كان يعتبرها الكثيرون رصيداً للعرب والمسلمين - إلى إسرائيل، وطالما سمعنا التهديدات لإسرائيل، ولكن إسرائيل لم تُضرب إلاّ بالكلام، أمّا الكويت فضربت بالمدافع. كنّا نظنّ أنّ هذه القوة تتجه إلى أعداء الإسلام، وأنّ البندقية العراقيّة تتجه هناك إلى صدر إسرائيل، لا إلى صدور أبناء الكويت.

---

(١) قال الهيثمى: رواه الطبرانى والبزّار وفيه (عاصم بن عبيد الله) وهو ضعيف (بغية الرائد فى تحقيق مجمع الزوائد: برقم ١٠٥٢٥).

OBEIKAN.COM

رجعة إلى الجاهلية:

ما الذى حدث ؟

هذا شيء عجيب حقّا: أن يحدث بين أبناء العرب والمسلمين، هذه هى الجاهليّة الأولى، حينما كان يغير بعضهم على بعض، وكما يقول الشاعر:

وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلاّ أخانا

ولكن النبى ﷺ حذّر من فعل الجاهلية وقال:

«لا ترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»(١). «كفّاراً» لأنّ هذا من عمل الكفار ومن عمل الجاهلية. وقال: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(٢). هذا ما حذّر منه النبى ﷺ.

بل حذّر ممّا هو أكثر من ذلك، حذّر من مجرّد أن تشهر السلاح على أخيك، وقال: «من سلّ علينا السيف فليس منّا»(٣). ويقول فيما رواه أبو هريرة: «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنّه لا يدرى لعلّ الشيطان ينزع فى يده، فيقع فى حفرة من النار»(٤)، وفى رواية قال أبو هريرة: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإنّ الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمّه»(٥)، الملائكة تلعنك بمجرّد الإشارة إلى أخيك بالسلاح، فكيف إذا دخلت عليه واحتللت أرضه، وغزوته فى عقر داره؟!

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنّسائى وابن ماجة عن جرير، ورواه أحمد والبخارى وأبو داود والنّسائى وابن ماجة عن ابن عمر، ورواه البخارى والنسائى عن أبى بكرة، ورواه البخارى والترمذى عن ابن عباس (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٣٩٤ برقم ٩٧٦٧).

(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنّسائى وابن ماجة عن ابن مسعود، ورواه ابن ماجة عن أبى هريرة وعن سعد، والطبرانى عن عبد الله بن مغفّل وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطنى فى الأفراد عن جابر (فيض القدير للمناوى: ٤ / ٨٤ برقم ٤٦٣٣).

(٣) رواه أحمد ومسلم، عن سلمة بن الأكوع (فيض القدير للمناوى: ٦ / ١٥٤ برقم ٨٧٥٥).

(٤) رواه البخارى ومسلم (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٧٣٧ برقم ١٦٩١). ومعنى ينزع: أى يرمى ويفسد.

(٥) رواه مسلم (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٧٣٧ برقم ١٦٩٢).

OBEIKAN.COM

إنّ هذا أمر يرفضه الإسلام، وترفضه الشرائع الدوليّة، وترفضه الأخلاق، وترفضه قيم العرب وأعرافهم من قديم، حتى فى الجاهليّة. لقد كان العربى يتعفّف عن قتل أخيه، حتى ولو كان عنده ثأر، يقول شاعرهم:

قومى همو قتلوا أُميم أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفّونْ جللا ولئن رميت لأوهِنَنْ عظمى

هكذا كان العرب قديماً، رغم ما كانوا فيه من الجاهلية، ولكن كان فيهم مروءات وشيم، وكان فيهم مكارم يعرفونها ويتباهون بها. نجىء نحن فى عصر الإسلام ويعتدى بعضنا على بعض، وتتفرّق الأمّة شيعا، ويذوق بعضها بأس بعض، هذا شرّ ما تُبلَى به أمّة.

من المستفيد من هذه الكارثة؟:

من المستفيد من هذه المحنة.. الأزمة.. المصيبة.. الكارثة؟ سمّوها ما تسمّونها.

من المستفيد ؟

والله لن يستفد من وراء هذا إلاّ إسرائيل.. الصهاينة.. اليهود.. الصليبيّون.. الشيوعيّون، كلّ أعداء الأمّة العربية والإسلاميّة.

إسرائيل تعربد هناك الآن فى الضفّة الغربيّة وفى لبنان، ولا أحد يردّها، تصول وتجول فى أفريقيا، وليس هناك من يسأل عنها، الكلّ مشغول عنها.

إسرائيل هى المستفيدة. والغرب هو المستفيد أيضاً، هو الذى جمّد الأرصدة (مئات المليارات) لحسابه، هو الذى يبيع لنا أسلحته القديمة، ويجرّب فينا أسلحته الجديدة.

هم المستفيدون. أمّا نحن، فنحن الخاسرون على كلّ صعيد، الخاسرون على كلّ مستوى، نتيجة هذا العدوان الأحمق.. الفاجر.. الذى مزّق الأمّة إرْباً إرْبــاً.

خسائرنا كثيرة :

١ - التمزّق :

تمزّقت وحدتنا : كنّا نقول أمّة العرب دخلت الآن فى عصر التضامن، ودخلت فى عصر التلاحم، بعد القمّة التى حدثت فى بغداد، ودخول مصر الجامعة العربيّة، بعد أن جمدت عضويتها بعد كامب ديفيد، وقلنا : نحن فى عصر جديد .

لم نكد نفرح حتى انقلب العُرس مأتماً .

عادت أغانى العرس رجع نُواح ونعيت بين معالم الأفراح

كُفّنتِ فى يوم الزِفاف بثوبه ودفنت عند تبلجّ الإصباح

كما قال شوقى يرثى الخلافة التى ألغاها كمال أتاتورك .

كمال أتاتورك فعل مثل ذلك، بعد أن ظن الناس فى يوم من الأيام أنّه خالد التُرك، ولم يدروا أنّ وراءه مؤامرة ملعونة خبيثة لضرب الإسلام والمسلمين، حتى أنّ شوقى رحمه الله قال له فى قصيدة :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدّد خالد العرب !

ظنّ أنّه خالد الترك، وهيهات هيهات .

وهذا فى يوم من الأيام زعموا أنّ له قادسيّة كقادسيّة سعد بن أبى وقاص! يا سبحان الله كم تُظلم الحقائق، وتظلم الألفاظ، ويُظلم التاريخ؟! القادسيّة التى كان الهدف منها تحرير الفرس من نير الأكاسرة، ومن عبادة النار، وكما قال أحد الصحابة من المسلمين لقائد قوّات الفرس (رستم) - وقد سأله : ماذا جاء بكم؟ ومن أنتم؟ فقال فى عبارات وجيزة لخّص فيها أهدافهم بل أهداف الإسلام الكبرى - : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام !

هذه هى قادسيّة سعد، فأين القادسيّات المزعومة التى جاءت تفرّق الأمّة، ليحارب بعضها بعضا، ويمزّق بعضها بعضا ؟!

OBEIKAN.COM

ما معنى أن يحارب العرب الفرس أو يحارب العراق إيران؟ زعموها أحياناً حرباً قوميّة، فقالوا: إنها حرب العرب ضد الفرس، وأحيانا زعموها حرباً مذهبية، فقالوا: إنّها حرب السّنّة ضد الشيعة. وزعموها أحياناً حرباً دينيّة، فقالوا: إنّها حرب المسلمين ضد المجوس.

تصوّروا: جعلوا الإيرانييّن المسلمين مجوساً ! وهم الآن يقولون لهم: أنتم المسلمون، وأنت الجارة المسلَمة، وأنت الأخ والشقيق.

أين كان هذا كلّه ؟

وللأسف حطب الكثيرون فى هذا الحبل، وساروا فى هذا الركاب، وأعانوا الظالم على ظلمه.

الحمد لله، أنّى لم أتورّط فى شيء من هذا قط، ولا بموقف واحد، ولا بكلمة واحدة.

كنت أدعو من فوق هذا المنبر – طوال شهر رمضان – أن ينصر الله المجاهدين فى فلسطين، والمجاهدين فى أفغانستان، والمجاهدين فى السودان والمجاهدين فى إريتريا، والمجاهدين فى الفلبين، والمجاهدين فى كشمير، وقال لى سفير العراق هنا فى الدوحة – وبينى وبينه مجاملة ومودّة – : تدعو للناس فى كل مكان إلاّ العراق؟ قلت له: أنا أدعو أن ينصر الله الفلسطينييّن على اليهود، وأدعو أن ينصر الأفغان على الشيوعييّن الملحدين الحمر، وأدعو أن ينصر الله الفلبينييّن والسودانيين والإريتريين على الصليبييّن الحاقدين المتعصبين، فكيف أدعو للعراق؟ أن ينصر الله المسلمين على المسلمين؟! ولماذا كان العراق أحقّ من إيران؟

الذى كسبناه اليوم من هذا العدوان: تمزيق الأمّة العربية، التى انقسمت إلى محاور مختلفة: هذا يؤيّد، وهذا يعارض، وهذا بين بين. هناك من يفعل ذلك خوفاً، وهناك من يفعل ذلك طمعاً فى الغنائم، وهناك من التبس عليه الأمر. هناك من سكت عن الحق، وهناك من نطق بالباطل. هناك الشياطين الخرس، وهناك الشياطين المتكلّمون. اختلط الحابل بالنّابل، هذا ما حدث.

الأمّة تمزّقت، وشرّ ما تُبتلى به الأمّة أن تتمزّق، إن الله تعالى جعل ذلك

OBEIKAN.COM

عقوبة كالعقوبات السماويّة كالخسف والمسخ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ [قصف بحجارة من سجّيل] أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ [يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون] أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أوّل خسائرنا هذا التمزّق، بعد أن كنّا نقول: دخلنا عصر التضامن، والتلاحم.

٢ - الأحقاد:

وأكثر من هذا: الأحقاد التى غرست فى النفوس الآن، ولا ندرى إلى متى ستظل فى الجيل الحالى والأجيال القادمة؟ متى تُزال هذه الرواسب التى بُذرت بذورها وزُرعت؟ الشاعر العربى يقول:

إنّ القلوب إذا تنافر ودّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يُشعب

الحقد «.. والبغضاء، والبغضاء هى الحالقة، أما إنّى لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[1].

٣ - تدمير الثروة:

الثروة التى كان ينبغى أن تتوجه إلى تنمية هذه الأمّة وتعمير خرابها، وإخراجها من دائرة التخلّف. المليارات وعشرات المليارات كان ينبغى أن توجّه لتنمية هذه المنطقة كلّها، وتنمية الأمّة العربية والمسلمة، فالمال لها جميعاً، والثروة إليها، والناس مستخلفون فى هذا المال، ولكن يبدو أنّ هناك مؤامرة ماكرة خبيثة، تريد لهذا المال أن لا ينفق إلاّ فيما لا فائدة فيه ولا نفع منه، بل فيما يضرها يقينا.

اخترعت حرب العراق وإيران، فالتهمت مئات المليارات، فوق ما التهمت

---

(١) رواه البزّار بإسناد جيّد، والبيهقى، ورواه الترمذى، عن الزبير رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٧٥٣ برقم ١٧٤٦) وأوّله: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد...» وانظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٣/١١٧ برقم ٣٥٣٨).

OBEIKAN.COM

من أجساد البشر. ثمّ ها هى تخترع الآن هذه القصّة الجديدة، لتدمرّ ثروة هذه الأمّة.

ماذا سينفق فى هذه الحرب الخاسرة بكلّ المقاييس؟

نحن الخاسرون فيها، الأسلحة ستضرب بعضنا ببعض، سواء ضربت صواريخ أم أسلحة كيماويّة، من هذا الطرف أم من ذاك، كلّها فى الأرض العربية الإسلاميّة.

من المسؤول عن هذا كلّه ؟

ثروتنا تُدمرّ، وكان الأولى بها أن تنفق فى الخير. وأنا أشهد والله للكويت أنّها لم تبخل على مشروع من مشروعات الخير: الهيئة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة أسّسناها فى الكويت، لجنة مسلمى أفريقيا التى أقامت إذاعة إسلاميّة فى (سيراليون)، يسمعها عشرات ومئات الملايين فى أفريقيا، وقامت بنشر الدعوة الإسلاميّة، ومقاومة حملات التنصير، لجنة الدعوة والإصلاح التى تدعم الجهاد الأفغانى، جمعيّة عبد الله النّورى الخيريّة، جمعيّة إحياء التراث الإسلامى التى بنت عشرات المساجد، جمعيّة الإصلاح الاجتماعى، بيت الزكاة، الهيئة العالميّة لقضايا الزكاة، المنظمة الإسلاميّة للعلوم الطبيّة التى تجمع بين الفقهاء والأطباء، وأصدرت منشورات عديدة وكتبا ومجلّدات فى غاية من القيمة، وزارة الأوقاف وما أصدرته من الموسوعة الفقهيّة التى صدر منها أكثر من أربعة وعشرين مجلّداً، وأصدرت عدداً طيباً من كتب التراث الأصيلة.

ماذا أقول وماذا أحكى ؟ أشياء كثيرة.

من ذهب إلى آسيا وأفريقيا وجد أثر الكويت هناك، ويمكن أن تبذل أكثر وأكثر، إضافة إلى ما تبذله أيضاً من سلاسل ثقافيّة وفكريّة: مجلّة العربى، ومجلة الوعى الإسلامى، وغير ذلك.

إذا نظرنا إلى الكويت من ناحية الشورى والحرية، فهى من أكثر بلاد العرب والمسلمين حرية، أقول لكم الحق فى هذا، الصحافة الكويتية صحافة حرّة،

البرلمان الكويتى، والديوانيات الكويتية تعتبر كأنها برلمانات صغيرة. الكويت من أحسن البلاد فى هذا، لم تصل إلى القمة كدول أوربّا الغربية، ولكن بالنسّبة لما يجرى فى بلادنا العربية هى أفضل من غيرها بلا نزاع.

لماذا إذن العدوان على الكويت ؟

إنّ نتيجة هذا كلّه : تدمير الثروة.

٤ - تدمير القيم :

وأشدّ من تدمير الثروة: تدمير القيم، القيم المعنويّة، قيم الأخوّة والرحم والجوار والوفاء. ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا حينما نتكلّم عن حقوق الرحم، أو حقوق الجوار، أو حقوق العروبة، أو حقوق الإسلام؟ ماذا نقول لهم، وهذا كلّه قد مُسخ؟ ماذا نحدثّهم عن الوفاء؟ أين الوفاء إذا غدرت بمن وفى لك، واعتديت على من وقف معك ساعة الشدّة؟ أين الأخوّة؟ وأين الرحم؟ وأين الجوار؟ وأين العروبة؟ وأين الإسلام؟ مادام أخى هو الذى يقاتلنى ويغير علىّ، وليس عدوّى؟

٥ - اليأس :

اليأس وخيبة الأمل التى أصابت هذه الأمّة، والكفر بالعرب والعروبة. أصبح السائد على كلّ لسان: انّ العرب لا يصلحون لشىء، إنّهم يضرب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، والعرب مظلومون، والشعوب مظلومة، المسؤوليّة مسؤوليّة الحكّام.

أنا لا أحمّل الشعب العراقى كلّه مسؤوليّة ما حدث، وإن كان كثيرون منه قد غُسلت أمخاخهم، وضلّلت عقولهم، كما رأينا فى بلاد أخرى من قبل، وعهود أخرى من قبل. لا أحمّل الشعب العراقى نتيجة ما فعل حكّامه، ولا أحمّل الشعب الفلسطينى نتيجة تصرّفات بعض قادته، لا أحمّل الشعوب نتيجة أخطاء ساستها، الشعوب فيها خير كثير، ولهذا رأينا هذه الصحوة الإسلاميّة فى كلّ مكان، وكأنّ هذه العمليّات يُراد بها إجهاض هذه الصحوة وإيقافها. وقد حدثنى بعض الإخوة فى أمريكا: أنّ واحداً من قادة الحزب الجمهورى - فى

OBEIKAN.COM

جلسة خاصّة – قال له: إذا كان لهذا العدوان فضل، فإنّه أراحنا من الأصوليّين الذين اتخذوا الكويت وِكْراً لهم !

إنّها أحقاد صليبيّة تظهر على صفحات الوجوه وفلتات الألسن ، ﴿ .. وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ .. ﴾ [محمّد: ٣٠].

٦ – شماتة الأعداء :

الشاعر العربى يقول :

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى وتهون غير شماتة الأعداء

والنبى ﷺ ممّا أثر من أدعيته : «اللهمّ إنّى أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء» (١).

إنّ إسرائيل تتشفّى وتشمت بنا اليوم، لقد رأيت أحد المسؤولين الإسرائيليّين فى تلفزيون بريطانيا وهو يقول: هذا ما قلناه من قديم، إنّ مشكلة الشرق الأوسط ليست الصراع العربى الإسرائيلى، ولكن المشكلة تكمن فى الصراع العربى العربى !

ليتشفّوا بنا، ليشمتوا بنا، نحن الذين مكّنّاهم.

٧ – الانشغال عن قضايانا الكبرى :

كنّا نتحدث عن الانتفاضة الفلسطينيّة، وعن ثورة المساجد، وعن أشبال الحجارة، وعن الأطفال الذين يقاتلون الصهيونيّة. وكنّا نتحدث عن الهجرة اليهوديّة، وعن هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين، وعن هذه المؤامرة المبيّتة التى تريد أن تخرج الناس من ديارهم وتحلّ غيرهم مكانهم. كنّا نقيم الدنيا من أجل هذا.

انتهى هذا، وشُغلنا عنه بهذه المصيبة، وغطّت على قضايا الجهاد كلّها.

---

(١) قال الزين العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: متفق عليه من حديث أبى هريرة (١/٣٢٢).

OBEIKAN.COM

٨ - وجود القوات الأجنبيّة :

من المتسبّب فى هذا؟ كانت المنطقة كلّها ترفض أن تكون هناك قواعد للجنود الأجانب، طُلب منها ذلك فى بعض الأحيان، رفضت الكويت، ورفضت المملكة العربية السعودية، ورفضت قطر، ورفضت البحرين، ورفضت الإمارات. والآن حانت الفرصة لذلك، ووُجد المبرّر، وجاءت هذه الأساطيل البريّة والبحريّة والجويّة، لتحتل المنطقه وتتحكم فيها.

من المسؤول عن هذا الاحتلال الجديد، الذى أعاد القوات العسكرية الأجنبية إلى المنطقة بعد أن تحررت منها، والذى جعل حكام المنطقة يطلبونه بأنفسهم؟ من المسئول عن هذا كله؟ من المسئول عن هذه الخسائر؟ ماذا أعدّد من خسائر، ومن كوارث، ومن مصائب، حلّت بنا نتيجة هذا العدوان؟

إنّها خسائر كثيرة وكبيرة، مادية ومعنوية، آنية ومستقبلية، وما خفى أعظم، وما ينتظرنا لا يعلمه إلاّ الله.

لو انفجر الموقف، لو انطلقت الشرارة، لو استعرت النّار، من سيصطلى بها؟ سنصطلى بها كلّنا. وإسرائيل تتفرّج علينا ضاحكة السن، تضحك ملء سنّها، وتنام ملء جفنها، لا تبالى، مبسوطة مسرورة.

يقولون: إنّ إسرائيل ستتدخّل. وما الذى يدعوها لأن تتدخل؟ لا، هى لن تتدخل، يكفيها أن تتفرّج علينا.

خسائرنا كبيرة، وكبيرة جداً.

مسؤولية الساكتين عن الظلم :

يا أيّها الإخوة: مصيبة حلّت بهذه الأمّة، نتيجة لسكوتنا عن ظلم سابق: ضُرب إخواننا الأكراد بالأسلحة الكيماويّة، أبيدت - كما حدثنى أحد علماء الأكراد - أكثر من عشرة آلاف قرية فى منطقة حلبجة، قُتل من أهلها من قُتل، وهاجر منها من هاجر. أكثر من عشرة آلاف قرية فيها أكثر من عشرين ألف مسجد دُمّرت، وقتل خمسة وعشرون عالماً رفضوا أن يتركوا المساجد، واستشهدوا فى داخلها.

OBEIKAN.COM

هذا ما حدث. هل تحدّث أحد؟ الأفلام تحدثت عنها، وتلفزيونات العالم، إلاّ العرب لم يتحدّثوا عنها.

لو أنّنا كنّا كما علّمنا النبى ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يارسول الله، نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إيّاه»(١). ولكنّنا ركنّا إلى الذين ظلموا فمسّتنا النّار، سكتنا عن الظلم وساندناه. والنبى ﷺ يقول: «إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده»(٢)، ويقول الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ٢٥]، لأنّ الرحمة تخص والنّقمة تعمّ، العقاب ينزل على من ظلم وعلى من تغاضى عن الظلم وسكت عنه.

من المسؤول؟:

من المسؤول عن كلّ هذا الذى أصاب هذه الأمّة؟ من المسؤول عن الآمنين الذين روّعوا؟ من المسؤول عن الأموال التى نهبت؟ من المسؤول عن النّساء اللاّتى اغتُصبت؟ من المسؤول عن الحرمات التى انتكهت؟ من المسؤول عن الأعراض التى هتكت؟ من المسؤول عن الشاردين التائهين الذين ماتوا فى الصحراء، نفد الوقود من سيارّاتهم، ونفد الزاد من أيديهم ونفد الماء من قربهم؟ من المسؤول عن الأطفال الصغار فى تلك الطرق الصحراويّة الذين كانوا يلهثون من العطش، يبكون أمام الآباء والأمهات، من أجل جرعة ترويهم فلا يجدونها؟ من المسؤول عن عشرات الآلاف، ومئات الآلاف الذين خرجوا من الكويت، وقد تركوا (تحويشة العمر)، تركوا مدّخراتهم، تركوا أثاثهم، تركوا متاعهم، وخرجوا بملابسهم، وليتهم يصلون إلى أوطانهم سالمين؟ من المسؤول عن هذا كلّه، وعن أكثر من هذا كلّه؟

---

(١) متفق على صحته من حديث أنس رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٣/٩٧ برقم ٣٥١٦).

(٢) رواه أبو داود، والترمذى عن أبى بكر وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، والنّسائى، وابن حبان فى صحيحه، ورواه أحمد فى مسنده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٤٣ برقم ١٣٧٥).

OBEIKAN.COM

إنّ المسؤول هو من قام بالعدوان.

وإذا كان هناك أناس يركّزون على التدخل الأجنبى فى المنطقة وعلى الوجود العسكرى، فالمسؤول عن هذا أيضا هو من قام بالعدوان ومن بدأ الشرّ، والشر بالشر يُحسم، والبادىء أظلم.

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشرّ إن تلقه بالخير ضقت به ذرعاً ، وإن تلقه بالشرّ ينحسم

المسؤول عن هذا هو من قام بالعدوان، التاريخ يحمّلة المسؤوليّة عمّا حدث، لولا هذا ما دخل عسكرىّ واحد إلى هذه المنطقة.

هل فات الأوان ؟

هل فات الأوان ؟ لم يفت الأوان بعد .

لو أنّ الناس استمعوا لصوت العقل، وصوت الضمير، وصوت الإسلام، وصوت العروبة، لو أنّنا ناشدناهم الله فاستمعوا. كما روى النّسائى أنّ رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، أرأيت إن عُدى على مالى، قال: «فانشدْ بالله» قال: فإن أبوا علىّ؟ قال: «فانشُدْ بالله» قال: فإن أبوا علىّ؟ قال: «فانشُدْ بالله» قال: فإن أبوا علىّ؟ قال: «فقاتل، فإن قُتلت ففى الجنّة، وإن قَتلت ففى النّار»(١).

وفى رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلنى؟ قال: «فأنت شهيد»، قا: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو فى النّار» (٢).

---

(١) رواه النّسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه، وانظر تعليق الشيخ القرضاوى عليه فى كتابه: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٤١٣ برقم ٧٧١).

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٤١٣ برقم ٧٧١).

OBEIKAN.COM

وروى سعيد بن زيد عن النبى ﷺ : « من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[1] . الإنسان مطالب أن يدافع عن عرضه وماله ودمه ودينه ، ولا يستسلم للبغاة والمعَتدين ، وإن أدّى ذلك إلى قتالهم ، فإن قُتل فهو شهيد وإن قتلهم فهم فى النّار . ولكن بعد أن ينشد بالله ، يقول : أنشدك الله .

ولا زلنا نقول لحاكم العراق ولنظام العراق ونكرر القول : ننشدكم الله ، ثم ننشدكم الله ! ننشدكم الله فى هذه الأمّة ، قبل أن تندلع الحرب المدمّرة ، فتأكل الأخضر واليابس . وما ذنب الآمنين ؟ ما ذنب الشعوب ؟ ما ذنب النّلس ؟ ماذا ستجنى هذه الأمّة من وراء ذلك ؟

ننشد الله حكام العراق أن يستجيبوا لصوت العروبة والإسلام ، والخلق والدين ، والرحم والجوار ، والقوانين الدوليّة ، وينسحبوا من الكويت .

لقد كان حاكم العراق جريئاً حينما فجرّ الأزمة ، فليكن شجاعاً فينهيها . لقد قدر على إشعال النّار ، فليكن قادراً على إطفائها ، وسيسجّل ذلك التاريخ له بإكبار . لقد وجد من الجرأة أن ينهى آثار حرب استمرت ثمانى سنوات ، ثمّ تنازل فيها عن كل شىء ، وأعلن أنّها لم تكن حرباً عادلة . إذا واتته الجرأة لذلك فليفعل ذلك بالنسبة لبلد عربى مسلم جار .

يقول : إن الكويت جزء منه ، حتى لو كان جزءاً منه ، هذه (تايوان) جزء من الصين – التى عددها أكثر من ألف مليون – ولا يعترف بها أحد ، ومع هذا نرى الصين لم تفكّر فى أخذها بالقوّة . (هونج كونج) جزء من الصين ، ومع هذا لم تفكر فى أخذها بالقوة ، وتحترم المعاهدات التى بينها وبين بريطانيا حتى تنتهى .

---

(١) رواه أحمد (١ / ١٩٠) والنّسائى (٧ / ١١٦) والترمذى (١٤٥٥) كلهم من حديث سعيد بن زيد .

وقال شعيب الأرناؤوط فى تعليقه على مسند أحمد : إسناده قوى وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود برقم (٤٧٧٢) .

OBEIKAN.COM

القول بالضمّ بالقوّة هذا يعطي حجّة لإسرائيل، هى المستفيد الوحيد الذى يرى أنّ الضمّ بالقوّة لما تزعمه حقاً لها من الحقوق التاريخيّة.

الشام كانت بلداً واحداً طوال التاريخ، لم يكن هناك سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، هل معنى هذا أن نمكّن سوريّا لتأخذ لبنان وتأخذ الأردن؟ هل نتيح للقوى أن يبتلع الضعيف، ولكل بلد أن يأخذ الأصغر منه؟ مصر تأخذ ليبيا، والمغرب تأخذ موريتانيا، والجزائر تأخذ تونس، وهكذا، هل هذا منطق؟ هذا منطق الغاب، وقانون المخلب والناب.

نحن نناشد هؤلاء الحكام أن يتقوا الله فى هذه الأمّة، إنّنا نخاف من المصير الأسود الذى لا نكسب منه إلاّ الدمار والخراب. نناشد هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم، وأن يكونوا شجعاناً ويعلنوها صريحة، هذه هى الشجاعة الحقّة، الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل. الشجاعة حقا أن يعترف الإنسان بخطئه، والاعتراف يهدم الاقتراف.

إنّ الذى أصابنا – أيها الإخوة – إنما كان من جرّاء شيء واحد، هو: بعدنا عن الإسلام. بعُدنا عن الإسلام، فأصابنا ما أصابنا. لو أنّ العرب من يوم أن حدث هذا العدوان رجعوا إلى الإسلام وإلى القرآن الذى يقول: ﴿ .. **فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (١) – هذا فى حالة اقتتال طائفتين نصلح بينهما حتى يكفّ كل منهما عن صاحبه، ويغمد سيفه، لأنه لا يجوز لمسلم أن يسفك دم مسلم آخر، فإذا حدث هذا لابدّ أن نحاجز بين الفريقين ونصلح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى بعد هذه المحاجزة، وهذا الإصلاح، نقاتل الفئة الباغية المعتدية الظالمة. ومن باب أولى إذا لم يحدث اقتتال، وحدث بغى من أول الأمر، بغت الطائفة القويّة على الضعيفة، فالمفروض فى المسلمين أن يقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله، لابّد أن يقف الناس بقوّة أمام العدوان – لو أنهّم فعلوا ذلك، لو أنّ الشارع العربى المسلم قام عن بكرة أبيه من المحيط إلى الخليج، أو من المحيط إلى المحيط، ونادى بصوت واحد، وبصوت

(١) الحجرات: ٩ ، وأوّلها: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ... ﴾.

جهير يبلغ عنان السماء: ارجعوا أيّها المغيرون.. أيّها المعتدون على إخوانكم، لو وقف النّاس وقفة رجل واحد، لكانوا قد راجعوا أنفسهم، ولكن حدث ما حدث، حدث هذا الانقسام المريب.. الانقسام المؤسف والمؤلم.

على كلّ حال سيبقى الإسلام هو طوق النجّاة، وسفينته الإنقاذ لهذه الأمّة، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمة ينبغى أن نعيها ونرويها للأجيال دائماً، قال: نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزّة بغيره أذلنّا الله.

أقول قولى هذا – أيها الإخوة – وأستغفر الله تعالى لى ولكم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

وبعد ، أيّها الإخوة :

من سنّة رسول الله ﷺ أنّه كان يقنت فى النّوازل، ويدعو الله تبارك وتعالى فى صلواته للمسلمين المستضعفين فى مكّة أن ينقذهم الله من محنتهم، وكان يدعو على من ظلمهم وعلى من أذلّهم من المشركين. ولذلك ذهب الكثيرون من الفقهاء إلى استحباب القنوت فى ساعات النّوازل.

ونحن فى نازلة كبيرة لم تر الأمّة مثلها، نحن فى كارثة لم تصب أمتنا بمثلها من عهد بعيد، ولهذا نقنت إن شاء الله بعد القيام من الركوع فى الركعة الثانية، وندعو الله سبحانه وتعالى، عسى أن يكون فينا رجل صالح يستجيب الله تعالى له. إنّنا فى محنة، نسأل الله تبارك وتعالى أن يخرج المسلمين منها، ومن هذا المأزق الصعب، ومن هذه الكارثة التى حلت بهم، وأن يجمع الكلمة على الهدى والقلوب على التقى والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

إنّى أطلب من المسلمين أن يدعوا الله بأن يفرج الكربة، وأن يكشف الغمّة، وأطلب من الأئمة والخطباء أن يقنتوا قنوت النّوازل، فإن الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لنا من همّنا فرجا، ومن ضيقنا مخرجا، ومن عسرنا يسرا، ومن محنتنا منحة، وأن يجزى الذين تسببوا فى هذا، وأن يهّيء لنا من أمرنا رشدا.

* * *

OBEIKAN.COM

١١ - حقائق حول أزمة الخليج

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

فتن يرقق بعضها بعضا :

نعيش هذه الأيام مآسى فى حياة المسلمين، مآسى وفتناً تدع الحليم حيران، إنها فتن - كما ذكر النبى ﷺ(١) - يرقق بعضها بعضا، أى أنّ الفتنة تأتى ويقول المؤمن: هذه مهلكتى، فتأتى فتنة أشدّ منها، بحيث تبدو السابقة رقيقة وهيّنة بالنّسبة لما بعدها.

نحن فى عصر فتن تذر الحليم حيران، هذه الفتن جعلتنا اليوم ننظر إلى هذه المآسى وقلوبنا تتقطّع حسرات، وأعيننا تذرف العبرات:

المسجد الأقصى يُعتدى عليه وتقوم فيه مذبحة تُراق فيها الدماء، وتنتهك فيها الحرمات، ويمنع المصلّون المسلمون من أداء الصلوات داخل المسجد. ومع هذا لا يتحرّك المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها.

اليهود يعملون لهدم المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، يعملون لهدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، فأين المسلمون؟ وأين العرب؟ إنّهم مشغولون بأنفسهم، بأسهم بينهم شديد.

لم أعجب إذا كان هناك من يريد أن يهدم مسجداً فى الهند، ليبنى على أنقاضه معبداً للإله عندهم. إذا كان المسجد الأقصى نفسه مهدّداً، فكيف لا تهدّد بقيّة مساجد المسلمين؟!

عشرات الآلاف من المسلمين فى (سيرلانكا) يغادرون بيوتهم مهاجرين،

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (١٨٤٤)، ورواه أحمد من حديثه أيضاً (٢/١٦١).

OBEIKAN.COM

لأنّ هناك من المتعصبين (التاميل) من يريدون أن تخلو المنطقة لهم، ولا يبقى فيها مسلم. هل احتجّ على هذا أحد؟

أرخص دم فى الأرض هو الدم المسلم !

أهون المعابد هى المعابد المسلمة !

ذاق بعضنا بأس بعض :

لماذا؟ لأننا مشغولون بأنفسنا. بدل أن كنا نتجه بمدافعناوبنادقنا وأسلحتنا إلى عدّونا الحقيقى، وجّهناها بعضنا إلى بعض. أصبح البأس بيننا شديدا، الله تعالى جعل من العقوبات القدريّة للأمّة أن يكون بأسها بينها: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** [كما بعث على قوم لوط حجارة من سجّيل] **أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** [أى يخسف بكم الأرض كما خسف بقارون وغيره] **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ...** ﴾ [الأنعام: ٦٥]، يجعلكم شيعاً متفرّقة، يكيد بعضها لبعض، ويذوق بعضها بأس بعض،، وهذا ما نعيش فيه.

صلّى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها، قالوا: يارسول الله صلّيت صلاة لم تكن تصلّيها، قال: «أجل، إنّها صلاة رغبة ورهبة، إنّى سألت الله فيها ثلاثاً فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة: سألته أن لا يهلك أمتّى بسنة [أى بالمجاعات] فأعطانيها، وسألته أن لا يسلّط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»(١).

وفى رواية: «.. وإنّ ربى قال: يامحمّد إنّى إذا قضيت قضاء فإنّه لا يرد، وإنّى أعطيتك لأمّتك ألاّ أهلكهم بسنة عامّة، ولا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين

---

(١) رواه الترمذى عن خبّاب بن الأرت، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. انظر (عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى: أبواب الفتن، سؤال النبى ثلاثاً فى أمته).

OREIKAN.COM

أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا»[1]، هكذا تُسلّط الأمّة على أنفسها. وهذا ما نراه: أمّة يُسلّط بعضها على بعض، الأسلحة التى ظنّها بعض الناس أنها رصيد للأمّة أصبحت موجهة إلى صدور بعض أبنائها.

لن أكون عوناً لظالم:

قال لى واحد من النّاس: لقد خطبت خطبة منذ شهرين، وتحيّزت فيها للخليج ضدّ العراق. قلت: معاذ الله، ما كنت متحيّزاً ولن أكون متحيّزاً. أنا لا أعرف خليجاً ولا عراقاً، إنّما أعرف ظالماً ومظلوما، أعرف معتدياً ومعتدى عليه. أنا ضدّ الظالم أيّاً كان هذا الظالم، وأنا مع المظلوم أيّاً كان هذا المظلوم. علّمنى ذلك الإسلام وعلّمتنى الحياة، أكتويت بنار الطغاة والظالمين، ولذلك أقول ما قال كليم الله موسى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ** ﴾ [القصص: ١٧].

لن أكون يوماً ظالماً ولا عوناً لظالم، فإنّ أعوان الظلمة كلاب النّار، لا ينبغى للمسلم أن يظلم ولا ينبغى له أن يكون سوطاً فى يد ظالم أو أداة لخدمة ظالم.

حملة الإسلام على الظلم والظالمين:

إنّ الله حرّم الظلم على نفسه وحرّمه على عباده، وقال فى الحديث القدسى: «يا عبادى إنّى حرّمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا...»[2]. إنّ الله لا يحب الظالمين، ولا يهدى القوم الظالمين، ﴿ **.. إِنَّهُ لا**

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة، وأحمد، عن ثوبان رضى الله عنه، وأوّله: «إنّ الله زوى لى الأرض [أى جمعها وقبضها]، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتّى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنّى سألت ربى لأمّتى ألاّ يهلكها بسنة عامّة، وألاّ يسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم...».

(شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٤/٢١٥ - ٢١٦ برقم ٤٠١٥).

(٢) قطعة من الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى ذر الغفارىّ رضى الله عنه، وهو الحديث الرابع والعشرون من الأربعين النّووية.

OBEIKAN.COM

﴿ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٥ ، يوسف: ٢٣] ، ﴿ .. وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

ليس هناك دين كالإسلام حمل على الظلم والظالمين، كما حمل القرآن الكريم والسّنّة النبويّة المطهّرة. «إنّ الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»(١) هكذا قال النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

من سنن الله تعالى:

أن بعض المعاصي تُعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك الظلم والبغي، فإنّ البغي مرتعه وخيم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ﴿ .. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نقف مع الظالم يوما.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إنّ الله يبقى الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويزيل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة!

فالعدل إن دام عمرّ، والظلم إن دام دمرّ. الظلم سبب خراب البيوت العامرة، وسبب سقوط الدول الشامخة، اقرأوا قول الله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا.. ﴾ [النمل: ٥٢] ، واقرأوا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤] يمهل ولا يهمل، لا يغفل ولا ينام.

الظلم مرتعه وخيم، فلا ينبغي أن نظلم، ولا ينبغي أن نعين ظالما. يؤثّم الإسلام الظالم ويؤثّم من أعانه، أو سكت عليه، أو رضي عنه، أو مال أو ركن إليه

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، عن أبي موسى رضي الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٦١٩ برقم ١٣٠٣).

OBEIKAN.COM

مجرّد الميل أو الركون، فالله تعالى يقول: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾ [هود: ١١٣]. ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾ لا تعينوا الظالمين، بل لا تميلوا إليهم مجرد الميل.

الظلم مرتعه وخيم مهما يكن قليلاً، فكيف بظلم شعب بأكمله. إنّ القرآن الكريم يقرّر في قتل نفس واحدة ﴿ **.. أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ..** ﴾ [المائدة: ٣٢]. والنبي ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»(١)، ويقول: «لو أنّ أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبّهم الله في النّار»(٢).

لا يجوز التهاون في عرض يُهتك أو دم يُسفك أو مال يُنهب. بل لا يجوز التهاون في ظلم حيوان أعجم، وإن كان كلبا أو هرّة.

«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»(٣).

الظلم ينبغي أن يُقاوم، ولا ينبغي أن يُسكت عليه، والنبي ﷺ يقول: «إذا رأيت أمّتي تهابُ أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودّع منهم»(٤). أمة تفقد

---

(١) رواه النّسائي، والترمذي مرفوعاً وموقوفاً ورجّح الموقوف، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وروى ابن ماجة بإسناد حسن عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله موثقون، وحسنها الحافظ في التلخيص (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٦٥ برقم ١٤٤٦).

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن غريب (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٦٥ برقم ١٤٤٧).

(٣) رواه البخاري وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما. ومعنى «خشاش الأرض»: حشرات الأرض ونحوها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٢٨ برقم ١٣٣٣).

(٤) رواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقوله «فقد تودّع منهم» يعني: استوى وجودهم وعدمهم، أو تركوا وخذلوا وخلى بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي ليعاقبوا عليها (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: =

مبرّر بقائها إذا لم تأخذ على يد الظالم ولم تمنعه من الظلم. ويقول ﷺ: «إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده»[1].

الأخوة الإسلامية تفرض على كل مسلم أن ينصر أخاه، ظالما أو مظلوما. هكذا قال النبى ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوماً»، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ [كان أهل الجاهلية يقولون هذه الكلمة على معنى انصر ابن قبيلتك سواء كان على الحق أم على الباطل، ولكن حينما قال النبى ﷺ استغرب الصحابة أن ينطق بها النبى ﷺ وأن يكون هذا هو المراد عند أهل الجاهلية] قال: «تحجزه – أو تمنعه – عن الظلم، فإنّ ذلك نصره»[2] نصرته على نفسه، نصرته على شيطانه، منعته من الوبال الذى ينزل عليه فى الدنيا والآخرة.

لو أنّ المسلمين فى أزمة الخليج نصروا الظالم بأن منعوه من الظلم، ونصروا المظلوم بأن وقفوا إلى جانبه، ما تطوّرت الأزمة إلى ما تطوّرت إليه.

نحن ينبغى أن نقف ضدّ الظلم وضد الطغيان.

كنّا ونحن طلاب نعيب على الاستعمار الذى يستنكر بعض الجرائم الفرديّة، ولكنّه يسحق شعوباً بكاملها، وكنا نتمثّل بقول الشاعر:

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر

وسحق شعب كامل مسألة فيها نظر!

= ٢ / ٦٤٤ برقم ١٣٧٨) و (فيض القدير للمناوى: ١ / ٣٥٤ برقم ٦٢٧). وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (برقم ١٢١١٠) وقال: رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادى البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد.

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، والنسائى، وابن حبان فى صحيحه، ونقل عن النووى فى الأذكار والرياض: أنّ أسانيده صحيحه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٤٣ برقم ١٣٧٥).

(٢) رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٢١ برقم ١٣١٠).

OBEIKAN.COM

هكذا كنّا نعيب على الاستعمار، فإذا بنا نجد من العرب من يفعل فعل الاستعمار، ويسحق شعباً بكامله، يسحق إرادته وكرامته، ويفرض عليه ما يريد.

يجب أن نقف ضدّ الظلم والطغيان والاستبداد أيّاً كان مصدره. هذه حقيقة لا لبس فيها.

الكويت وعمل الخير :

الحقيقة الثانية التى أريد أن أذكرها وأذكرّ بها هى: ليس معنى هذا أنّ أهل الكويت المغزوييّن المعتدى عليهم ملائكة مقربّون، أو أنبياء معصومون، أو أنّهم من أولياء الله الصالحين وليس لديهم معصية ارتكبت . لا .

إنّ أهل الكويت كغيرهم، فيهم الصالح والطالح، فيهم الطيبّ والخبيث، ولكن نشهد أنّ فى الكويت – كما رأينا – تياراً إسلاميّاً قويّاً عالى الصوت، يدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجمع الشباب على الإسلام، ويربى الشباب على الإسلام.

رأينا آلاف الشباب الذى يعمل فى جبهات متعدّدة فى سبيل الخيرات، يناصر فلسطين، ويجاهد مع الأفغان، ويجمع التبرعات للبلاد الإسلاميّة وللمنكوبين فى الزلازل والمجاعات. رأينا العمل الخبرى هنا وهناك، رأينا جمعيّات إسلاميّة تعمل: الهيئة الخيريّة الإسلامية العالميّة، لجنة مسلمى أفريقيا، بيت الزكاة، وغيرها، الكويت كان فيها خير وكان فيها عمل إسلامى، ولا زال مستمراً.

ممّا يذكر لأهل الكويت بالخير أنّهم حتى اليوم يحاولون أن يستمر عملهم الخيرى، وطلبت الجمعيّات الخيريّة الإسلاميّة من البنك الإسلامى للتنمية أن يمنحهم سلفاً حتى يهيىء الله لهم أسباب العودة، ليعملوا فى مشروعاتهم التى توقفت – بعد الغزو – فى آسيا وأفريقيا، فكم من مستشفيات توقفت، وكم من مدارس وكم من مراكز وكم.. وكم..؟

OBEIKAN.COM

لازالت هذه الهيئات تعمل، ولا زالت الهيئة الخيريّة الإسلاميّة العالميّة – التى ساهم فيها كثير منكم بجهده وماله – تعمل، ولها مكتب هناك فى رابطة العالم الإسلامى، ولا زال حسابها مفتوحاً،ويستطيع منكم أن يدفع لها من زكاته ومن غير زكاته.

هذا الخير يجب أن يذكر لأهله.

فإذا كان هناك شرّ، فهناك خير وأظنّه أكثر منه وأعلى صوتا. فلماذا نذكر الشر وننسى الخير. وهل دخل العراق الكويت ليقول لأهلها: توبوا إلى الله من المعاصى؟ هل دخل ليطهرهّم من شرهم؟ ما فعل هذا قط.

مصيبة القوات الأجنبية :

هناك حقيقة ثالثة ينبغى أن نذكرها هنا، وهى ما يتشبثّ به الكثيرون من وجود القوات الأجنبيّة على أرض الخليج. وهذه لا شك مصيبة كلّنا ننكرها، ولا نرحب بوجودها ولا بقائها، وقد أصدرت بياناً منذ الأيّام الأولى – مع إخوة لى فى مصر – نستنكر فيها الأمرين جميعا: العدوان على الكويت، ووجود القوات الأجنبيّة فى أرض المسلمين.

ولكن من الإنصاف أن نقول: من الذى يتحمّل وزر هذه القوات التى جددت احتلال المنطقة بعد أن كانت قد خرجت منها؟ من الذى أعطاها المبرر للعودة؟ الذى يتحمّل وزر هذه القوات البغيضة من كان السبب فى وجودها.

ينبغى أن نفرق بين السبب والنتيجة، بين الفرع والأصل. هذا فرع عن أصل، فإذا أردنا أن نعالج الفرع فلا بدّ أن نعالج أصله، لا بدّ أن نعالج السبب، أىّ مرض يُعالج لا بدّ أن يعرف سببه. السبب ينبغى أن نعرفه، إنّه: الغزو العراقى للكويت.

ولهذا نقول للنظام العراقى وللرئيس العراقى: لكى لا يكون لهذه القوات

OREIKAN.COM

مبرّر ولا حجّة لوجودها على أرض المسلمين، ينبغى أن تنسحب، لتسقط حجتهم، وفى هذه الحالة لن نرضى ببقائها. وقد قلت هناك فى رابطة العالم الإسلامى بأعلى صوتى: يوم ينسحب العراق فلا بدّ أن تنسجب هذه القوّات فى اليوم التالى، وإلاّ قاتلناها ودعونا الشعوب المسلمة فى مشارق الأرض ومغاربها إلى قتالها، وقمنا نحن العلماء بحمل السلاح فى المقدمّة لنقاتل هذه القوّات.

فلا ينبغى أن تُترك لها فرصة، أو ندع لها مبرّراً، حتى تبقى على أرض المسلمين.

من المستفيد من الحرب غير إسرائيل والغرب ؟

حقيقة رابعة هى: من المستفيد من الحرب إذا وقعت ومن الخاسر؟

الحرب إذا وقعت فسيقع فيها الدمار والخراب للمنطقة كلّها، ولا نريد أن تخرب هذه المنطقة، نحن أحرص ما نكون على الشعب العراقى والوطن العراقى والجيش العراقى، لأنّنا نعتبره قوّة ورصيداً لأمّة العرب والإسلام، لا نريد أن يذهب هذا كلّه سدى. ومن هنا لا نريد الحرب، لأنّها ستدمّر هذا كلّه، لمصلحة من؟ لمصلحة الغرب، ولمصلحة أمريكا، ولمصلحة إسرائيل، إسرائيل هى المستفيدة الأولى بلا ريب.

ومن هنا ينبغى أن نجنّب المنطقة ويلات الحرب ما استطعنا.

النبى ﷺ وهو الذى عاش مجاهداً فى سبيل الله ويتمنّى أن لا يتخلّى عن غزوة ويقول: « .. والذى نفسى بيده لوددت أنّى أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل »[1]، ومع هذا كان يكره الحرب، وإذا وجد فرصة للسلام لم يضيّعها، ولذلك صالح صلح الحديبية على ما كان فيه من شروط ظنّها بعض المسلمين إجحافا، وسمّى الله هذا الصلح فتحاً مبينا، ونزلت فيه سورة (الفتح): ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح: ١]، وجاء فيها قول الله تعالى:

---

(١) رواه البخارى ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه (كتاب السنن الكبرى للبيهقى: ٩/١٥٧) ط. دار المعرفة - بيروت.

OBEIKAN.COM

﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم .... ﴾ [الفتح: ٢٤]، قال ذلك فى معرض الامتنان.

﴿ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ معقول هذا.

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ﴾ حتى كفّ أيدى المسلمين عن المشركين اعتبره منّة ونعمة.

وفى غزوة الخندق التى أرادت قريش وغطفان ومن معهما أن يبيدوا المسلمين – وحاصروهم من كلّ الجهات، وجاؤوهم من فوقهم ومن أسفل منهم وبلغت القلوب الحناجر وظنّ الناس بالله الظنون، وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً – أراد الله سبحانه وتعالى أن ينهى هذه المعركة بجنود لم يرها المسلمون، وبريح من عنده، أكفأت قدورهم وآنيتهم، وقلعت خيامهم، وعادما مدحورين ولم يحقّقوا أملاً، يقول القرآن فى ذلك: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

انظروا إلى هذه الكلمة: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾: الله لا يريد للنّاس أن تراق دماؤهم، إذا انتهت معركة بغير دماء فهى نعمة.

النبى ﷺ كان يكره مجرّد كلمة (حرب)، يقول: «أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرّة»(١)، الاسم نفسه لا يحبه، اسم مستقبح.

هكذا كان ﷺ. وليس كما يصوّره الأفّاكون من المبشرين والمستشرقين: أنّه كان ميّالاً لسفك الدماء، لا، ثم لا.

سيدنا عمر رضى الله عنه حينما عُرض عليه غزو الروم، كان متردّداً غاية

---

(١) أخرجه أبو داود والنّسائى والبخارى فى «الأدب المفرد» من حديث أبى وهب الجشمى، وفى سنده عقيل بن شبيب وهو مجهول، وباقى رجاله ثقات (زاد المعاد لابن القيم بتحقيق آل الأرناؤوط: ٢ / ٣٣٤).

التردد، ولما قيل له: إنّ النصر مضمون، وإنّها كذا وأنّها كذا، كان يقول لهم: «والله لمسلم واحد أحبّ إليّ من الروم وما حوت». لا يريد أن يغامر بأرواح المسلمين.

هكذا شأن الإنسان الذى ينظر إلى أنّه مسؤول عن رعيّته، وأنّ كلّ روح من الأرواح أمانة فى يده.

الحرب ليست لعبة وليست عبثا، فكيف بحرب اليوم وأسلحة الدمار تفعل ما تفعل، وستقوم على أرضنا وليست على أرض الأمريكان ولا على أرض البريطان، هى على الأرض العربية الإسلامية، فنحن الخاسرون فيها أيّاً كان المنتصر.

نحن لا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولذلك كلّ من يحب العرب والمسلمين، وكلّ من يحب العراق وشعب العراق وجيش العراق، عليه أن يضغط على المسؤولين فى هذا البلد العربى المسلم لينسحب، ولا يدع الفرصة للحرب، وكلّ شىء قابل لأن يُسوّى.

أمّا الذين يقفون مع الظلم والعدوان مؤيدين، فمعناه أنّهم يغرونه بالاستمرار، ومعنى الاستمرار هو الدمار. لا يمكن أن ينتصر العراق على العالم كلّه، لا يمكن، فمعنى هذا أنّه سيدخل معركة تضيع فيها قوّاته ومعداته، ويخسر فيها شعبه، وتخسر المنطقة كلّها.

نحن حراص على أىّ قطرة دم من إنسان مسلم أن تُسفك، ولا نريد لهذه الحرب أن تقوم، ولهذا ينبغى أن يسعى الساعون فى كلّ مكان إلى إيقاف هذا الأمر، والضغط على من بيده مفتاح الحل، ومفتاح الحل فى يد رجل واحد، هو الذى يستطيع أن ينهى هذا، هو الذى بدأ المعركة ويستطيع أن ينهيها، هو الذى أشعل النّار ويستطيع أن يطفئها.

ولهذا ندعوه باسم الله، نناشده باسم الله، وباسم الإسلام، وباسم الرحم، وباسم الجوار، وكلّ المقدسات والقيم، أن يطفىء هذه النّار التى نخشى أن تحرق الأخضر واليابس، وتحرق المنطقة كلّها.

OBEIKAN.COM

هذه هى الحقيقة الرابعة .

مسؤولية الحكام لا الشعوب :

وحقيقة خامسة – أيها الإخوة – أريد أن أذكرها وأذكرّ بها :

أنّنا لا ينبغى أن نخلط بين الحكام والشعوب، لا ينبغى أن نظلم الشعوب بظلم حكامها، ليس كلّ عراقى مسؤولاً عمّا يجرى فى العراق وما اتخذه حاكم العراق، وليس كل فلسطينى مسؤولاً عمّا اتخذه رئيس فلسطين، وليس كلّ يمنىّ مسؤولاً عمّا اتخذه رئيس اليمن، وليس كلّ تونسىّ مسؤولاً عمّا اتخذه رئيس تونس.

لا، ﴿ .. **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** .. ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧] ، كلّ إنسان مسؤول عن نفسه، من أيدّ وأظهر تأييده يتحمّل المسؤوليّة، وإلاّ فالحكام هؤلاء مسؤولون عن أنفسهم، ولا ينبغى أن نحمل شعوبهم آثامهم، فكثير من الناس ليس لهم ذنب.

للأسف نرى الآن بعض البلاد الأوربية تعامل العراقيّين فى الخارج باعتبارهم خصوماً وأعداء، وكثير منهم فرّ من العراق مضهطداً مظلوما من سنوات. فإذا ألغيت بعثته أو فصل من دراسته أو فصل من عمله، ضاقت الدنيا عليه بما رحبت.

الحجاج بن يوسف الثقفى وقد كان معروفاً بالظلم والطغيان، أخذ رجلاً من إحدى القبائل، لأنّه بحث عن قريب له ارتكب جريمة فلم يجده فأخذ ابن عمه، فلّما وقف أمام الحجاج قال له: ما قضيّتك؟ قال: جنى جان من عُرض العشيرة فبحث عنه جنودك فلم يجدوه، فأُخذت بسببه. قال: أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجنى عليك وقد ... تُعدى الصحاحَ مبارِكُ الجرب

ولربّ مأخوذ بذنب عشيرة ... ونجا المقارف صاحب الذنب

OBEIKAN.COM

إنّ الأجرب قد يُعدى السليم، وإنّ البرىء قد يؤخذ بذنب المسىء. فقال له: إذا كان الشاعر قال ذلك، فإنّى سمعت الله تعالى قال غير ذلك، قال: ويحك وماذا قال الله؟ قال: قال الله تعالى على لسان يوسف – وقد طلب منه إخوته أن يأخذ أحدهم مكان من وُجد فى رحله صواع الملك – : ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ** ﴾ [يوسف: ٧٩].

هنالك بُهت الحجاج وقال: صدق الله وكذب الشاعر، خلّوا سبيله.

هذا هو العدل، العدل أن يؤخذ كلّ إنسان بجريرته.

ولا نريد لهذه الفتنة ولا لهذه الأزمة أن تترك مرارة بين الشعوب بعضها وبعض. نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الفتن والأحقاد.

خلل فى الوجود الإسلامى لغياب الخلافة :

وحقيقة سادسة: هى أنّ ما جرى اليوم نتيجة لسبب، نتيجة لخلل فى الحياة الإسلاميّة ينبغى أن يُسد، نتيجة لفراغ ينبغى أن يملأ. الذى حدث أنّ المسلمين كانت لهم رابطة تربطهم. كانت لهم وحدة تجمعهم، كانت لهم قيادة مركزيّة تجسّد وحدتهم، كان هناك شىء اسمه الخلافة. الخلافة معناها: وحدة إسلاميّة لها قيادة مركزيّة.

ولكن هذه الرابطة فُصمت، هذه القلعة هُدمت، هذه المظلّة هُتكت، هذا الحصن حُطّم، لم يعد للمسلمين شىء يجمعهم، لم يعد لهم قيادة تستطيع أن تستنفرهم فى الأزمات وتقول لهم: انفروا فى سبيل الله. لم يعد هناك شىء يمكن أن يحكم بينهم فى النزّاعات، ويرد إليه الأمور المتنازع فيها.

ولهذا ليس عندنا محكمة عدل إسلاميّة تفصل فى النّزاع، ليس عندنا قوّة ردع إسلاميّة تقاتل الباغى كما قال الله تعالى: ﴿ **.. فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ..** ﴾ [الحجرات: ٩]. ليس

OBEIKAN.COM

عندنا هذا، فكانت النتيجة أن استنصرنا بغيرنا واستعنّا بغيرنا. لا يمكن أن تكون للمسلمين حياة مستقلة يسودون فيها أنفسهم ما لم يراجعوا أنفسهم من جديد.

ذهبت الخلافة ولم يوجد بديل عنها، فما الذى يوحّد المسلمين؟ ما الذى يجعلهم أمّة كما قال الله: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..** ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ..** ﴾ [آل عمران: ١١٠] ؟ ما الذى يجعلهم أمّة كما أراد لهم الله وليسوا أمماً كما أراد لهم الاستعمار؟

الأصل فى الحياة الإسلاميّة أن يكون هناك دار واحدة، اسمها: دار الإسلام. توجد أقاليم وولايات داخل دار الإسلام، ولكن كلّها دار واحدة، ونظام الخلافة يحكمها.

العالم الآن يتوحد إلاّ المسلمين، أوربّا تتوحّد على ما كان منها من صراعات رخلافات وثارات خلال قرون، وهم فى الطريق الآن إلى «الولايات المتحدة الأوربّيّة»! ونحن للأسف نختلف ونفترق إلى حدّ أن يقاتل بعضنا بعضا.

لا بدّ أن نتعلّم من هذه الأزمة، ليسعى أهل الإصلاح وأهل الرأى فى الأمّة الإسلاميّة إلى أن يبحثوا من جديد: كيف تعود لهذه الأمّة وحدتها؟ كيف تعود لها قيادتها الموحّدة؟ وهذا ليس بالشىء الكبير، وليس بالشىء الغريب ولا بالعجيب.

المسلمون فى العالم حوالى ألف مليون أو يزيدون، وهم داخل العالم الإسلامى نحو ثمانمائة مليون. الصين وحدها تزيد عن ألف ومائة مليون نسمة، الهند وحدها أكثر من تسعمائة مليون، أوربّا الآن تتوحّد. فلماذا يُستبعد أن يكون للمسلمين وحدة؟

ليس الأمر ببعيد إذا صدقت النيات وصحّت العزائم.

OBEIKAN.COM

الرجوع إلى الله فى الشدة :

والحقيقة الأخيرة أيّها الإخوة: أنّ الناس فى الأزمات ينبغى أن يعودوا إلى الله، ينبغى أن يرجعوا إلى الله، أن يتذكروا أنّ ما نزل بالناس لا بدّ أن يكون وراءه معصية. مهما قلنا أنّ أهل الكويت كذا وكذا، ليس معنى هذا أنّنا نبرىء أهل الكويت أو أن نبرّىء أهل قطر أو نبرّىء أهل الخليج .... الكلّ مقصّر.

فى الأزمات ينبغى للإنسان أن يراجع سجلاّته، أن يحاسب نفسه، أن يعرف ماذا بينه وبين الله؟ إذا لم يعرف الناس ربّهم فى وقت المحنة فمتى يعرفون ربهم؟

النّاس ثلاثة :

هناك من يعرف الله فى وقت الرخاء ليعرفه الله فى وقت الشدّة، كما قال النبى ﷺ لابن عباس: « ... احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة.. »(١).

هذا صنف من النّاس .

الصنف الثانى: ينسى الله فى ساعة الرخاء والعافية، حتى إذا دهمته الشدّة استيقظ ضميره، وصحا قلبه، ورجع إلى ربه منيباً إليه، كالذين حدّث الله تعالى عنهم: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ..** ﴾ [الروم: ٣٣]، وكأهل السفينة الذين إذا ركبوا السفينة ﴿ **.. وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾(٢).

صحيح أنّ كثيراً منهم بعد أن تنتهى الأزمة يعود سيرته، الأولى، ولكن

---

(١) رواه أحمد من حديث ابن عباس (١/٣٠٧) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) يونس: ٢٢، وأولها: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ...** ﴾.

OBEIKAN.COM

على الأقل فى ساعة الأزمة يقول : يارب يارب، يبسط يده إلى الله، ويقول ما قال أبوه آدم وأمّه حوّاء: ﴿ .. **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهناك صنف ثالث: لا يتحرك قلبه لا فى رخاء ولا فى شدّة، لا فى عافية ولا فى بلاء. تمرّ عليه السرّاء والضرّاء والنعّماء والبأساء، وهو غافل عن الله، تنزل به المحن القاصمة فلا يرجع إلى ربه، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٥].

ينبغى أن نرجع إلى الله فى وقت الأزمات، وأن نتوب إلى الله توبة جماعيّة، وكلّ إنسان أعرف بنفسه وبما بينه وبين ربه.

ينبغى أن نتطهر، ينبغى أن نخلص الدعاء فى هذه المرحلة، ليجنبّ الله هذه الأمّة المصائب المترقّبة، أن يجنّبها الحرب وويلاتها.

ولكن الله لا يستجيب لنا إذا ظلّت القلوب مظلمة بالمعصية، وظلّت الأنفس بعيدة عن الله، تجرى وراء الشهوات. إنّما يستجيب الله لنا إذا دعوناه مخلصين له الدين، وهذه هى الفرصة لنتطهر ونتوب ونرجع إلى الله عزّ وجلّ، وننظر فى أمورنا كلّها، لنقوّمها بمقياس الإسلام، فما كان منها صواباً حمدنا الله عليه وسألناه الثبات عليه والمزيد منه، وما كان خطأ أو خطيئة استغفرنا الله منه، وعملنا على أن يكون يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا.

ينبغى أن يفعل ذلك الحاكم والمحكوم، والراعى والرعيّة، والغنى والفقير.

ينبغى لمن منع الزكاة أن يؤدى الزكاة.. لمن أهمل الصلاة أن يقيم الصلاة..

OBEIKAN.COM

لمن ظلم الضعفاء أن يعدل مع الضعفاء.. لمن ينفق ماله فى المعاصى أن يمسكه فلا ينفقه إلاّ فى الحق.

ينبغى لكلّ إنسان عرف من نفسه انحرافاً عن صراط الله أن يرجع إلى الله، ويتوب إليه، ويقول: يارب يارب، فإنّ الله أهل لأن يجيب الدعاء ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..** ﴾[1].

اللهمّ إنّا نسألك أن تكشف الغمّة عن هذه الأمّة، وأن تخرجنا من هذه الفتنة منصورين بالحق. اللهم انصرنا بالحق وانصر الحق بنا.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

ورد أنّ فى يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهم إنّا نسألك العفو والعافية، فى ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

* * *

(١) البقرة: ١٨٦، وتتمّتها: ﴿ .. **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ** ﴾.

OBEIKAN.COM

١٢ - مأساة المسلمين فى البوسنة والهرسك

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

كنت أودّ أن أبدأ معكم فى سلسلة نتحدث فيها عن الإسلام وتعاليمه، عن الإسلام عقيدة، والإسلام شريعة، والإسلام أخلاقاً، نتعلّم الإسلام ومبادئه وأحكامه، ونتواصى به.

ولكن مآسى المسلمين التى تصابحنا وتماسينا، وتراوحنا أنباؤها وتغادينا، وتصكّ أسماعنا كلّما اقتربنا من أجهزة الإعلام مرئيّة أو مسموعة أو مقروءة، مآسى المسلمين فى كلّ مكان تجعلنا لا نستطيع أن نتحدث عن الأمور النظرية.

لا زلنا فى مآسى بعد مآسى، فتن كما جاء فى الحديث: «يرقّق بعضها بعضا»[١]، أى كلما جاءت فتنة غطّت على التى قبلها، حتى اعتبر ما قبلها شيئاً هيّناً رقيقاً بالنّسبة لما يحدث، وكأنّ الأمر كما يقول الشاعر أبو الطيّب المتنبى:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنى سهام ... تكسّرت النّصالُ على النّصال

هذه هى أحوالنا، وهذه هى أحداثنا ومآسينا.

منذ أسبوعين صلّيت الجمعة فى مدينه (زغرب) عاصمة (كرواتيا). هذه العاصمة هى المنفذ الوحيد لإخوتنا المسلمين فى البوسنة والهرسك.

صلّينا الجمعة فى مسجد المركز الإسلامى هناك، وهو المسجد الوحيد فى هذه البلدة، بعد أن حُوّل مسجدها الجامع - الذى رأيناه فى وسط البلدة، وفى سُرّة المدينة وفى ميدان من أعظم ميادينها - إلى متحف فى عهد الشيوعيّة، هدم (المارشال تيتو) مآذنه الأربع واستبقى المسجد متحفاً، ولا زال الميدان يُسمّى (ميدان الجامع).

---

(١) سبق تخريجه فى ص (١٥٩).

OBEIKANCOM

المسلمون فى تلك البلاد منذ قرن وربع قرن من الزمان يلاقون المصائب تلو المصائب، والمذابح إثر المذابح، منذ عهد المملكة اليوغسلافيّة القديمة، ومنذ عهد الشيوعيّة. وبعد زوال الشيوعيّة اليوم أصبح هؤلاء لحمهم مباحا، يُقطّع بالسكاكين ما بين الحين والحين، هكذا رخصت دماء المسلمين، وهانت حرمات المسلمين.

لقد زرنا الإخوة من البوسنة والهرسك فى مدينة (زغرب)، أو زُرنا المهاجرين منهم أو المُهجَّرين أو الفارّين بأنفسهم، واستمعنا إليهم، وحضرنا مؤتمراً عالمياً لرعاية حقوق الإنسان فى البوسنة والهرسك[1]، حضره ممثلون من أكثر من ثلاثين دولة، وللأسف لم نر له أثراً فى الإعلام العالمى ولا الإسلامى ولا العربى، لأنّ الذى يسيطر على الإعلام فى العالم – للأسف – هم اليهود وأشباه اليهود، والصليبيوّن، فلم يُسمع عن هذا المؤتمر إلاّ بعض تعليقات فى إذاعة (لندن).

تنادى الغيورون من المسلمين بحضور هذا المؤتمر ليؤدّوا عدّة رسائل:

الرسالة الأولى: إلى المسلمين فى البوسنة والهرسك: أنهمّ ليسوا وحدهم، وأنّ إخوانهم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ليسوا غافلين عنهم، ولا ناسين لقضيّتهم، حتى نشدّ أزرهم ونقوّى عضدهم وننفخ فى روحهم. هذه هى الرسالة الأولى.

والرسالة الثانية: إلى الغرب.. إلى العالم الغربى الذى يتباهى ويتعالم بأنّه عالم حقوق الإنسان، عالم النور والحرية. أردنا أن نبلّغه رسالة تقول: أين أنت أيّها العالم الغربى؟ أين أنت يا أوربّا ويا أمريكا وهؤلاء يُذبحّون ويُقتّلون، وتُفعل بهم الأفاعيل، فى داخل أوربا، قارّة النور والعلم والحرية؟! أين العالم الغربى؟ أين هذا العالم الذى خفّ سريعاً أيّام أزمة الكويت، وجاء تحالف من ثلاثين دولة لتحرير الكويت كما زعموا؟ هل كان تحريراً للكويت حقّاً؟ لماذا لا يحرّرون هؤلاء إذن؟

للأسف أنّ مجلس الأمن قد أصدر قراراً بحظر توريد الأسلحة إلى تلك

---

(١) انعقد هذا المؤتمر فى مدينة زغرب عاصمة كرواتيا فى ١٨ و ١٩ سبتمبر سنة ١٩٩٢م.

المنطقة، لأنّها منطقة حرب أهليّة !! يا عجباً كيف يُسوّى بين المعتدى والمُعتدى عليه؟! كيف يُسوّى بين الجانى والضحيّة المجنى عليها ؟! ومعنى حظر توريد الأسلحة إلى المسلمين: تسليمهم للسكاكين لتقطع رقابهم وأعناقهم. هذا ما يصنعه العالم الغربى المتحضّر.

أردنا أن نبلّغ هؤلاء رسالة عسى أن يتنبّهوا ويستيقظوا.

ورسالة ثالثة: إلى المسلمين فى العالم، وللأسف لم تصل إليهم، لأنّ أجهزة الإعلام لم توصّل هذه الرسالة كما ينبغى.

أردنا أن نُسمع المسلمين فى العالم ما يتعرّض له إخوتنا هناك من خطر. خطر عليهم فى كلّ ناحية: خطر فى دنياهم وفى دينهم، فى أنفسهم وفى أعراضهم، فى أطفالهم وفى نسائهم، فى حاضرهم وفى مستقبلهم.

شعب يُباد إبادة كاملة، يُصفّى جسديّاً، تُهدم مساجده (أكثر من سبعمائة مسجد هُدمت)، تُهدم المستشفيات على من فيها، تهدم المدارس، تُحرق المزارع، تُدمّر المصانع، تُهدم البيوت، إنّهم لا يريدون أن يبقى من هذا الشعب شىء.

فى الحرب العالميّة هُدمت منازل وهُدمت مستشفيات وهُدمت مدارس، ولكنّها هُدمت خطأ لا قصدا، كان الذين يرمون القنابل يقصدون الأهداف العسكريّة فتصيب أهدافاً مدنيّة. أمّا هؤلاء فهم يقصدون قصدا ويعمدون عمداً إلى تدمير البيوت والمدارس والمساجد والمستشفيات، إنهمّ يريدون أن لا يبقى لهذا الشعب شىء.

أكثر من مائة ألف قُتِّلوا حتى الآن، يريدون أن يُفنوا الرجال، ويستبقوا النّساء، لا للخدمة كما كان يفعل فرعون قديماً – لقد ذكر القرآن عن فرعون المتألّه الجبار: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٤] – ولكن يستبقوهنّ للاغتصاب وللمتعة. أصبحت أعراض المسلمين لعبة، أصبحت المرأة تتعرّض للهتك والانتهاك، ولا تجد من يحميها.

ذهبنا إلى أحد المعسكرات – أنا وفضيلة الشيخ الغزالى وبعض الإخوة من

الدعاة – واستمعنا إلى بعض القصص، ورأينا الدموع على الخدود، ورأينا المآسي. وقال لنا بعض الإخوة المرافقين: تريدون أن تروا بعض المعسكرات الأخرى؟ قلنا: ومن عنده قلب يستطيع أن يرى أكثر ممّا رأى؟ لم نستطع أن نبقى طويلاً، مع أنّنا لا نسمع إلاّ بواسطة مترجم، ولكن الدموع كانت تعبرّ.

معسكر فيه ألفان وخمسمائة، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، لأنّ الرجال إمّا يُقتلون وإمّا يُعتقلون في معسكرات الاعتقال، وكذلك الكثير من الشّابّات.

هؤلاء الصرب الحاقدون المتوحّشون يزعمون أنهمّ لا بدّ أن يطهروا المنطقة من البوسنويين المسلمين، لا يريدون أن يكون هناك عرق آخر، إنّها عمليّة تطهير عنصري عرقي، هذه فكرة جاهليّة.. فكرة وحشيّة، فالله خلق النّاس شعوباً وقبائل ليتعارفوا، لا ليقتل بعضهم بعضا.

ولماذا كان عرقٌ أفضل من عرق؟

وهي ليست مسألة عرقيّة فقط، ولكن مع هذه العصبيّة العرقيّة: عصبيّة جاهليّة.. عصبيّة صليبية، ولا أقول عصبيّة دينيّة، فهؤلاء ليسوا من الدين في شيء. فرق بين الصليبيّة وبين التديّن المسيحي، هؤلاء ليسوا مسيحيين، هم صليبيّون، لا يعرفون من المسيحيّة إلاّ شعار الصليب، هم حاقدون، وبهذه العنصريّة الحاقدة يتعاملون مع المسلمين، يقتلون الرجل – أو المرأة – ويرسمون الصليب عليه، هذا ما يعرفونه من المسيحيّة. أين المسيحيّة التي تقول: من ضربك على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر؟!

هؤلاء لا يعرفون إلاّ الدماء، مجازر وراء مجازر، ومذابح وراء مذابح، ويكتشف العالم يوماً بعد يوم مقابر فيها مئات وآلاف، ولا بدّ أن يأتي يوم يحُاكم فيه هؤلاء باعتبارهم مجرمي حرب، لابد أن يأتي يوم يُحاكمون فيه على مرأى ومسمع من العالم.

لقد رأينا تقريراً عجباً نشر في مجلة (الدرع) العسكريّة لقوات البوسنة: لقد قبضوا على بعض الصربيين من الجنود الذين كانوا يتولوّن التعذيب والحراسة في معسكرات الاعتقال، وحقّقوا معهم، واعترفوا اعترافات يشيب من هولها الولدان، وتقشعّر من فظاعتها الأبدان. هؤلاء الجنود تبع لذلك الزعيم الصربي

المتوحش الذى يعرف بـ (أركان)، وجنوده كانوا يُدرّبون فى إسرائيل ثمّ يعودون، وهم غلاة متوحشون قساة غلاظ.

إنّهم يتولّون حراسة المعتقلين والأسرى من المسلمين، ويُكلّفون بذبح عدد لا بدّ منه كلّ يوم. وطريقة القتل المفضّلة عند الصربييّن هى قطع الرقبة كما تُذبح الأغنام. ذكر أحدهم أنّه كُلّف مع فريق أن يعملوا جزّارين للمسلمين، بيد كلّ منهم سكين – كسكّين الجزّار أو القصّاب تماماً – يذبحون بها المسلمين. قال: ذبحت فى يومين ثمانين مسلماً ! كيف يذبحه؟ يضربه بمطرقة فوق رأسه أو فى مؤخرة رأسه فيغمى عليه، ثمّ يأتى بالسكين فيذبح رقبته ويحزّ رأسه، ويقدّم هذه الرؤوس بعد ذلك لرؤسائه ليريهم أنّه عمل فأجاد وأحسن، فيكافأ على ذلك بمجموعة من فتيات المسلمين يغتصبهنّ.

قال أحدهم: اغتصبتُ ثلاث عشرة امرأة، أوّل من صادفنى منهنّ عجوز فى سن الستين فاغتصبتها ! هؤلاء إذن لا يغتصبون للمتعة فقط، إنّهم يغتصبون لإذلال المسلمين والمسلمات. قال: واغتصبت أربع فتيات ما بين العاشرة والثانية عشرة – طفلات – وبعد ذلك مجموعة أخرى فى العشرينات من العمر.

وواحد منهم اعترف أنّه ذبح ثمانين، واغتصب ثلاث عشرة امرأة.

عندما كنّا فى ذلك المخيّم – فى أطراف المدينة – رأينا العجائز من النساء، والشيوخ من الرجال، والأطفال، وقد جاءوا لأنّ بعض إخواننا جاء معه بالحلوى يوزّعها عليهم، ولم نر كثيراً من الفتيات، لماذا؟ لقد اختبأ الفتيات وراء الجدر حياءً وخجلاً، إنّ كثيراً منهنّ حملن نتيجة الاغتصاب.

وعندما كنّا فى المؤتمر قال الدكتور مصطفى استربتش: لقد عرف الإخوان والأخوات هنا بمجيئك أنت والشيخ الغزالى، ولذلك يقدّمون إليكما استفتاء: ما العمل فى هذا الحمل الذى جاء نتيجة الاغتصاب؟ ماذا تفعل هؤلاء الأخوات والبنات والفتيات العذارى والأبكار اللاّتى حملن اغتصاباً؟ ماذا يعملن فى هذه الأرحام وهذه الأجنّة فى بطونهنّ؟

وهو استفتاء ليس بجديد، سمعناه من قبل، عرض علينا من إخواننا فى إريتريا، حيث الجنود الصليبيّون كانوا يفعلون ذلك بفتيات المسلمين، وعرض

علينا قبل ذلك من سجون إحدى الدول العربيّة، التى لا ترقب فى مؤمن إلاّ ولا ذمة (١).

إنّها مصائب – أيّها الإخوة – تحلّ بنا نحن المسلمين، الذين انفرط عقدنا، ولم نجد أحداً يدافع عنّا. كان لنا خلافة قبل ذلك، وكان الخليفة يستطيع أن يقول: يا مسلمون هبّوا لنجدة إخوانكم. بحسبه أن ينادى نداء، فيهبُ المسلمون من أقطار الأرض للإغاثة والنجّدة. ثمّ هدمت أو هتكت الخلافة، هتكت هذه المظلّة التاريخية.

ليس عندنا سلطة دينيّة كما عند النصارى، عندهم (بابا) يقول: افعلوا وسوّوا، ليس عندنا هذه السلطة. كان فى وقت من الأوقات يوجد من يسمّى (شيخ الإسلام) أكبر شيخ عند المسلمين، ولكنّ السياسة ضيّعت علماء الإسلام، فلم يعد هناك أحد يمكن أن يسمّى (شيخ الإسلام) الذى يسمع له الناس فى كلّ مكان.

ضعنا نحن المسلمين، واجترأ علينا من اجترأ، وأصبحت مآسينا فى شمال الأرض وجنوبها. ما خلصنا من مأساة فلسطين، المأساة القديمة الجديدة المتجدّدة، حتى فوجئنا بفلسطين أخرى. صربيا الكبرى أشبه بإسرائيل الكبرى، وهؤلاء الصربيّون أشبه باليهود، حذوك النّعل بالنّعل ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ [الذّاريات: ٥٣]، تشابهت قلوبهم فتشابهت مواقفهم وتصرّفاتهم.

إنّها المآسى – أيّها الإخوة المسلمون – تلاحقنا فى كلّ وقت من الأوقات.

إخواننا هناك الآن يحتاجون إلى المعونة، المعونة بالسلاح والمعونة بالمال، والمال هو قبل كلّ شىء، به يستطيعون أن يشتروا السلاح. صحيح أنّهم سدّوا عليهم الطريق بقرار الحظر، ولكن الذين يعرفون الدنيا يعلمون أنّ السلاح يُشترى من السوق السوداء، مادام معك مال تستطيع أن تشترى السلاح من هنا وهناك.

الجهاد بالمال هو المطلوب الآن ليشتروا به السلاح، إنّهم فى حاجة إلى

---

(١) أجاب الشيخ القرضاوى عن استفتاء المسلمات فى البوسنة والهرسك بفتوى نشرت فى كتابه (فتاوى معاصرة) الجزء الثانى (ص ٦٠٩ – ٦١٢)، تحت عنوان: إجهاض الحمل الناشىء عن اغتصاب.

السلاح ليدافعوا عن أنفسهم. والآن قد ارتفعت معنويّاتهم وأصبحوا يصمدون، وأصبحوا يكبّدون الصربيين خسائر فى الأرواح، رغم عدم التكافؤ، فالصربيّون ورثوا جيش يوغسلافيا الذى كان رابع جيش فى أوربّا، ورثوا أسلحته الثقيلة من الدبابات والطائرات والصواريخ والمدرّعات والمصفّحات، أصبحت كلها بأيديهم، والمسلمون ليس معهم إلاّ مدافع خفيفة أو بنادق، إنّهم الآن فى حاجة إلى الدعم حتى يستطيعوا أن يواجهوا هؤلاء.

حينما قلنا للإخوة هناك: إذا كان هناك أطفال أيتام، فإنّ بلاد المسلمين مستعدّة لاستضافتهم، هناك بلاد كثيرة: مصر.. المملكة العربية السعودية.. باكستان، أبدت استعداداً لاستضافة الآلاف من هؤلاء. ولكنهّم قالوا: إنّ سياستنا الآن أن يبقى المسلمون ولا يهاجروا، وأن يقاوموا ولو انهدمت عليهم بيوتهم أو تحولت مساكنهم إلى مقابر، لا نريد أن تتكرّر مأساة فلسطين، لقد فعلها (بيجن) وأمثاله وأقاموا المذابح فى دير ياسين وغيرها، كى يملأوا القلوب رعبا، ويجعلوها تهجر منازلها، وتصبح المشكلة مشكلة لاجئين. قالوا: يكفى من هاجر من الأطفال إلى أوربّا، نريد أن نبقى فى أماكننا، نصبر ونصابر ونقاوم ونقاتل ولو فنينا.

وهذا موقف يُحمد لهم، وينبغى أن يُعانوا عليه، وينبغى أن يؤيدّوا فيه، وهناك محاولات لاسترداد الأطفال الذين ذهبوا إلى ألمانيا أو إيطاليا أو غيرها من البلاد الأوربية، والاتجاه الآن أن يكونوا فى (استانبول) ليكونوا فى بيئتة قريبة من بيئتهم، بيئة أوربيّة، المناخ قريب، والحياة قريبة ممّا هم فيه. فإنّهم لو جاءوا إلى مثل ديارنا لكان الموقف مختلفاً تماماً، وفى هذا صدمة نفسيّة لأولئك الأطفال، وهذا اتجاه طيبّ.

إنّ فى المسلمين خيراً كثيراً، وهذا الخير يجب أن نستثمره لصالح إخواننا هؤلاء، إنّه امتحان للضمير الإسلامى، ونرجو أن ينجح المسلمون فى هذا الامتحان.

إنّهم الآن على أبواب محنة كبيرة، ففصل الشتاء – أيّها الإخوة – هناك تنزل درجة الحرارة فيه إلى ثلاثين درجة تحت الصفر، أو أكثر، درجة التجمدّ،

الثلوج ترتفع إلى ثلاثة أمتار أو أربعة أو خمسة، الطرقات تتوقف، لا تستطيع الشاحنات التى تحمل الغذاء أو الدواء أو الوقود أن تتحرك وتنتقل إليهم، ولذلك هم فى حاجة إلى مخزون من الأغذية والأدوية والوقود يكفيهم لعدّة أشهر، حتى يتجاوزوا فصل الشتاء، وإلاّ هلكوا برداً وهلكوا جوعاً.

حدثنا الإخوة هناك أنّه لا بدّ من إمداد هؤلاء قبل أن يأتى فصل الشتاء، وإلاّ وقعوا فى هلاك مبين.

وقال لنا الإخوة البوسنيوّن: إنّ الهيئات الفعّالة هى هيئات الإغاثة العربية والإسلاميّة فى تلك المناطق، ومعظم ما يأتى عن طريق الأمم المتحدة لا يصل إليهم.

فلا بدّ أن نمدّ اليد إليهم، لا بدّ أن يتحرك الضمير المسلم.

إنّ الصربيّين يزعمون أنّهم يدافعون عن أوربّا، وأنهمّ يقومون بخدمة وبمهمّة جليلة تاريخية لأوربّا كلّها. ما هى هذه المهمّة؟ إنّهم يدفعون عن أوربا خطر الإسلام!

كذبوا والله، الإسلام ليس خطراً، الإسلام رحمة الله للعالمين. والله لن ينقذهم ممّا هم فيه إلاّ الإسلام. الإسلام ليس دماء تُسفك، ولا أعراضاً تُهتك كما يفعلون، الإسلام حتى فى حروبه كان يحرّم أن يُقتل الشيخ أو المرأة أو الطفل، أو يُهدم البناء، أو يُقطع الشجر، أو يُمثّل بجثّة. ولهذا قال المؤرخ الفرنسى المعروف (غوستاف لوبون): «ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب». يعنى: المسلمين.

هل هؤلاء الملايين المعدودة فى البوسنة والهرسك يخوّفون أوربا؟! هؤلاء يريدون أن يقيموا لهم دولة بين الكروات الكاثوليك وبين الصرب الأرثوذكس، وهم ليسوا أصوليّين كما يزعمون، إنّهم أناس عاشوا نحو نصف قرن تحت وطأة الحكم الشيوعى المستبد، الذى جهّلهم بالإسلام وفرّغهم من معانى الإسلام إلاّ قليلاً منهم، فلا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئاً، لا يعرفون من الإسلام إلاّ اسمه ولا من القرآن إلاّ رسمه، إنّهم بقايا إسلام، ما يبقيهم ويمسّكهم على الإسلام هو (شهادة أن لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله).

ولذلك قال لى الوزير الذى زارنا هنا فى قطر حينما زرته فى فندق (شيراتون) : إنّ ما أصابنا كان تأديباً من الله لنا، فقد تركنا الإسلام وجهلناه، فأراد الله تعالى أن يردنا إليه وأن يلقننا درساً قاسياً، حتى نعود إلى ديننا الذى به عزّتنا فى الدنيا وسعادتنا فى الآخرة.

هؤلاء بعدوا عن الإسلام طوال الحكم الشيوعى، الذى لم يعلّمهم لا فى مدرسة ولا فى مسجد ولا فى أىّ شىء. ولذلك كيف يقيم هؤلاء دولة أصوليّة، وهم بحاجة إلى أن يتعلّموا (ألف باء) الإسلام؟! وهم فعلاً بدأوا بهذا.

حينما علموا أنّهم يُقتلّون ويُذبّحون من أجل الإسلام، بدأوا يسألون عن هذا الإسلام، وبدأوا يستجيبون، وبدأوا يصلّون، وبدأت بعض الفتيات تتغطّى.

ذهب أحد الدعاة إلى أحد المخيمّات هناك فألقى عليهم درساً، ثمّ قال لهم: فى يوم الخميس القادم سآتى لألقى عليكم درساً آخر، وكم أتمنّى لو كنتم صائمين، فإنّ يوم الخميس ويوم الاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى اللهتعالى، فنحبّ أن ندعو الله معاً ونحن صيّام. يقول :وحينما عدت إليهم فى الدرس التالى وجدت أكثر من أربعمائة من الرجال والنساء صائمين وصائمات.

فهذا من فضل الله، ربّ ضارة نافعة، وربّ منحة فى طى محنة.

لقد قدّموا الكثير، ولكن هذا لن يضيع إن شاء الله.

إنّ الإسلام باقٍ وإن أراد أهل الكفر أن يمحوه من الأرض، ولكن هيهات: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢] ،هل يستطيع أحد أن يطفىء الشمس بنفخة من فمه؟ لا.

﴿ **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٣].

يا أيها الإخوة المؤمنون :

أنتم مدعوّون لمعاونة إخوانكم فى البوسنة والهرسك، وإخوانكم فى الصومال، وإخوانكم فى فلسطين، وإخوانكم فى جامو وكشمير، وإخوانكم فى كل مكان، و «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه [لا يتركه ولا يسلّمه لأعدائه بل يقف بجانبه ولو كلّفه ذلك نفسه وماله] من كان فى حاجة أخيه كان

الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة..»[1].

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمّد: ٣٨].

نستطيع أن نعين هؤلاء من مال الزكاة، فهم من مصارف الزكاة بأكثر من وجه: هم فقراء، ومساكين، وأبناء سبيل، وهم فى سبيل الله. ونستطيع أن نعينهم من الصدقات بعد الزكاة، ومن الوصايا التى تُترك من أموال المتوفّين. ونستطيع أن نعينهم بالجهاد بالمال.

إنّ بعض الشباب يريد أن يذهب إلى هناك ليجاهد، ولكنّهم حقيقة ليسوا فى حاجة إلى الرجال – وإن كان يوجد هناك بعض الإخوة من العرب والمسلمين، وهم يقومون بتقوية الروح المعنويّة لهؤلاء الإخوة من البوسنيين – ولكن حاجتهم إلى المال، فالجهاد بالمال هو المطلوب الآن: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.. ﴾ [التوبة: ١١١]، ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [هذه هى التجارة الرابحة، ما ربحها؟] يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا [أى أنّ الربح ليس فى الآخرة فقط ولكن أيضا فى الدنيا] نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

أقول قولى هذا – أيها الإخوة – واستغفر الله تعالى، لى ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٤٧ برقم ١٣٨٦، ٢/٧٠٣ برقم ١٥٦٩).

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيّها الإخوة :

ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير، إلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة.

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى.

اللهم أيدّ إخواننا المسلمين فى البوسنة والهرسك، وإخواننا المسلمين فى فلسطين، وإخواننا المسلمين فى جامو وكشمير، وإخواننا المسلمين فى الفلبين، وإخواننا المسلمين فى بورما، وإخواننا المسلمين فى كل مكان. اللهم أيدّهم بملأ من جندك، واحرسهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام، وأيدّم بروح من لدنك، ولا تجعل لأعدائهم عليهم سبيلا.

اللّهمّ عليك بالصربييّن المتوحشين، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بأعداء الإسلام والمسلمين. اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وخذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه فى قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهّم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونيآتهم على الجهاد فى سبيلك.

﴿ **.. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **.. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

OBEIKAN.COM